جامعة زيان عاشور – الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ والآثار

يحيى الغزال الجياني (156-250هـ)

حياته ونشاطه الديبلوماسي

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الطالبتين:

-لبيض وهيبة أم الخير.

-بن حدة خولة.

تحت إشراف الدكتور:

-برق الأغويني.

الموسم الجامعي: 1446-1447هـ/2025-2026م.

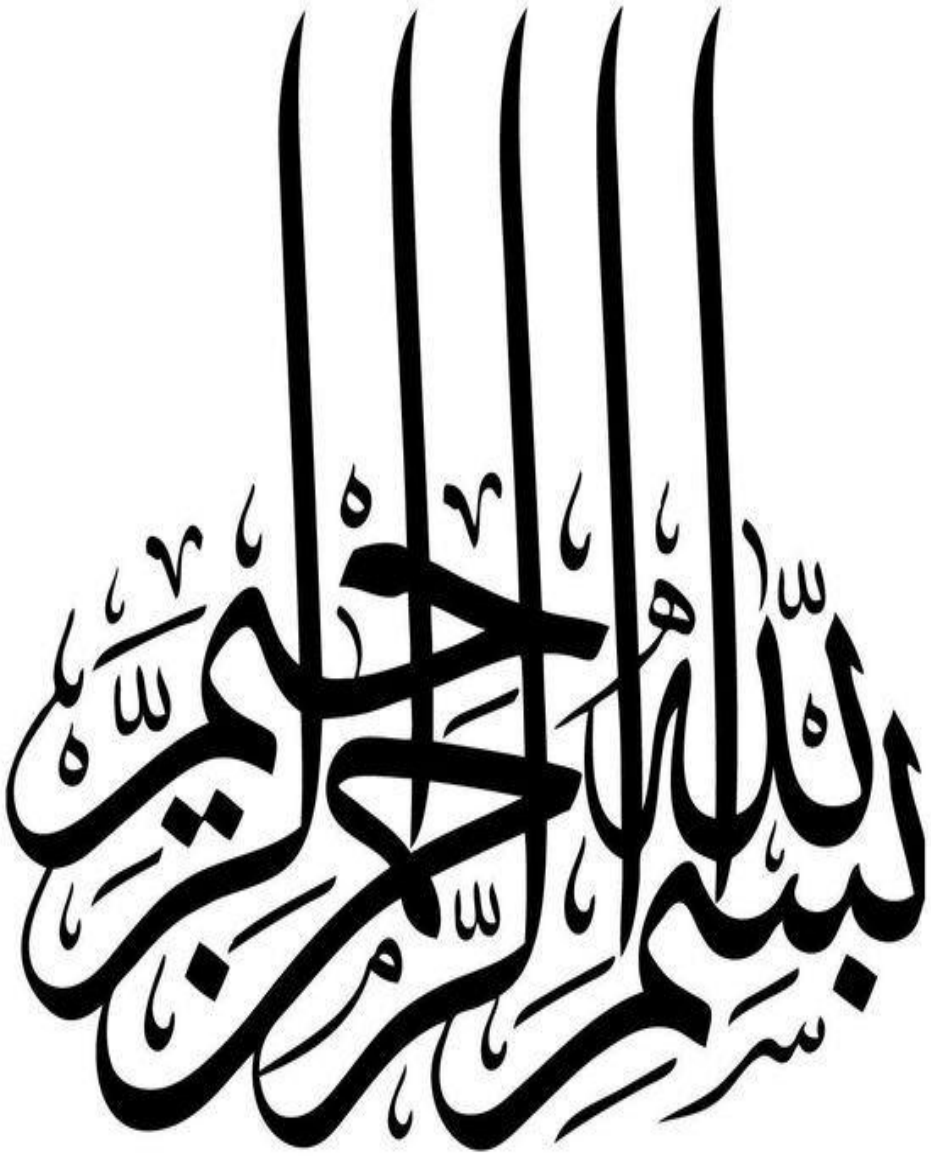
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــــــــــــداء

إلى من كانا النور الذي أضاء لي الطريق، والسَّند الذي لم يخذلني يومًا..

إلى والديَّ العزيزين اللذين غرسا فيَّ الصبر والعزيمة والإرادة، وكان دعاؤهما سرّ توفيقي...

إلى جدتي الغالية التي أحمل اسمها، والتي لا يزال عبيرها يسكن روحي، وذكراها تنبض في قلبي بكل حنين، إلى من كانت دعواتها ظلي الآمن، وابتسامتها سكينة أيامي، رحمها الله رحمة واسعة وجعل قبرها نورًا وروضة من رياض الجنة...

إلى أختيَّ الغاليتين "سارة" و "بشرى" رفيقتي الدرب، ومصدر الدفء والطمأنينة، اللتين شاركتاني لحظات التعب والنجاح...

إلى أخويَّ العزيزين "سعد الدين" و"علي" سندي وفخري، اللذين كان حضورهما قوة تدفعني للأمام...

إلى أختي ورفيقتي في هذا الطريق العلمي، "خولة" التي تقاسمت معها عناء البحث، لكِ مني خالص التقدير والامتنان مع أصدق التمنيات لها بالنجاح والتوفيق، ولزميلاتي الغاليات اللواتي ساعدنني في الترجمة...

إليكم جميعًا أهدي ثمرة جهدي عربون محبة ووفاء، وتقديرًا لكل ما قدمتموه لي.

إهـــــــــــــــــــــــــداء

إلى أمي الغالية، منبع الحنان وسر قوتي، التي كانت ولا تزال دعواتها تفتح لي أبواب التوفيق...

إلى روح أبي الطاهرة التي غابت عن عيني ولم تغب عن قلبي، رحمك الله وجعل مقامك في أعلى الجنان...

إلى زوجي العزيز "بلقاسم" شريك دربي الذي كان سندا ثابتًا في كل المراحل، ودعمًا لا ينضب في أوقات التعب والإنجاز...

إلى أبنائي "أحمد عبد العزيز" و"آدم" و"نوح" نبض قلبي وأملي في الغد، الذين منحتني براءتهم القوة وكانوا دافعي الأكبر للاستمرار والنجاح...

إلى إخوتي "بشير" و"إسماعيل" و"محمد" و"بلخير"، وأخواتي "سارة" و"مريم" و"دلال" وأبنائهن "تقي الدين" و"ميمي" و"شيماء" و"صلاح" وبشرى" و"عبد الباسط" و"براءة" و"سوسو" و"وسيم" الذين أضافوا لحياتي دفئًا ومحبة...

إلى صديقتي الوفية " وهيبة" التي شاركتني لحظات الطريق، ووقفت بجانبي بإخلاص لا ينسى...

إليكم جميعًا أهدي هذا الجهد، عربون محبة وامتنان.

بن حدة خولة

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذنا المشرف الدكتور برق الأغويني، لما أولانا به من عناية علمية وما قدمه لنا من توجيهات سديدة وملاحظات قيمة، كان لها بالغ الأثر في إنجاز هذا العمل وإخراجه في صورته الحالية.

كما نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ الموجه الدكتور بن حاج ميلود، الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته، وأسهم بإرشاداته في تقويم مسار هذا البحث وإثرائه.

سائلين الله عز وجل أن يجزيهما عنا خير الجزاء، وأن يبارك في علمهما وجهودهما، وأن يوفقهما لما فيه الخير والصلاح.

كما نتقدم بخالص الشكر إلى كافة أساتذة قسم التاريخ، وأساتذة تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط خاصة، على ماقدموه من علم وتوجيه طوال مسيرتنا الدراسية، فكان لهم الفضل بعد الله في تكويننا العلمي.

قائمة المختصرات:

الكلمة	اختصارها
دون بلد	د ب
دون تاريخ نشر	د ت
ترجمة	تر
الطبعة	ط
دون طبعة	د ط
العدد	ع
جزء	ج
مجلد	مج
تحقيق	تح
توفي	ت
صفحة	ص
ميلادي	م
هجري	هـ
مراجعة	مر
Page	P
Edition	Ed

مـــــــــــــــقدمة

عرفت الدبلوماسية في التاريخ الإسلامي تطورا تدريجيًا منذ بداية الدعوة، إذ ارتبطت في مرحلتها الأولى بجهود النبي محمد بن عبد الله في ترسيخ دعائم الدولة الإسلامية ونشر الرسالة، من خلال مراسلة الملوك وإيفاد الرسل، وقد استمر هذا النهج في عهد الخلفاء الراشدين ثم تعزز خلال العصرين الأموي والعباسي، حيث أضحت السفارات وسيلة أساسية لتنظيم العلاقات السياسية وتدبير شؤون الحرب والسلم.

وفي الغرب الإسلامي، ومع قيام الأندلس ، اكتسب النشاط الدبلوماسي بعدًا أكثر تنظيمًا، خاصة في ظل احتكاك المسلمين بالقوى المجاورة من ممالك نصرانية وقوى متوسطية. فقد فرضت طبيعة الصراع والتعايش في آن واحد ضرورة اللجوء إلى السفارات كآلية للتواصل والتفاوض، مما ساهم في بروز نماذج دبلوماسية متميزة عكست مكانة الدولة الأموية بالأندلس.

وفي هذا الإطار، برزت شخصيات دبلوماسية كان لها دور بارز في تمثيل الدولة والدفاع عن مصالحها، ومن أبرزها يحي الغزال ، الذي يعد نموذجًا فريدًا للدبلوماسي الأندلسي، حيث اضطلع بمهام سفارية دقيقة إلى بلاطات أوروبية، مستثمرًا قدراته البلاغية وحنكته السياسية في توطيد العلاقات الخارجية، ومن ثم فإن دراسة نشاطه الدبلوماسي تندرج ضمن فهم أوسع لتطور الممارسة الدبلوماسية في الغرب الإسلامي، وتجلياتها في العصر الأموي بالأندلس.

وفي هذا السياق جاءت دراستنا بعنوان يحي الغزال الجيائي (156-250هـ) حياته ونشاطه الدبلوماسي.

أسباب اختيار الموضوع:

أ-الأسباب الذاتية:

- الميول الشخصي للتاريخ الإسلامي والأندلسي خاصة بما يتعلق بالعلاقات بين الدول.
- الرغبة في تتبع التاريخ الأموي الذي تم إحياؤه في الأندلس بعد أن انقطع في المشرق.

- الاهتمام بدراسة السبل التي مكنت الأمويين من تثبيت حكمهم في الأندلس وإقامة روابط دبلوماسية مع القوى الخارجية.
- الرغبة في اكتشاف شخصية مميزة مثل يحي الغزال.

ب- الأسباب الموضوعية:

- محاولة الكشف عن أحد أهم جوانب التاريخ السياسي للأمويين وهو توطيد علاقاتهم الدبلوماسية مع القوى الخارجية ولاسيما البيزنطيين والنورمان.

إشكالية الموضوع: إلى أي مدى مثل النشاط الدبلوماسي في عهد الإمارة الأموية بالأندلس إطارا مهما لبروز شخصيات مميزة مثل يحي الغزال، وكيف انعكست كفاءته الشخصية في نجاح سفارته إلى كل من الإمبراطورية البيزنطية النورمان؟

التي تندرج تحتها مجموعة من الأسئلة وهي كالتالي:

- كيف تطور النشاط الدبلوماسي في العصر الإسلامي خاصة في ظل الدولة الأموية والدولة العباسية .
- ما مفهوم الدبلوماسية والسفارة قديما وحديثا ؟ وما خصائصها؟
- ما الصفات التي ينبغي توفرها في السفير الناجح في الفكر السياسي الإسلامي؟
- من هو يحي الغزال؟ وما أبرز ملامح نشأته ونسبه وعصره؟
- ما الصفات العلمية والأدبية التي ميزته؟
- ما الأسباب التي جعلت السلطة الأموية تختاره دون غيره؟
- ما خلفيات سفارة يحي الغزال إلى الإمبراطورية البيزنطية وكيف جرت مجرياتها، وما نتائجها؟
- ما الظروف التي أحاطت بسفارته إلى بلاد النورمان وكيف تعامل مع حكامها؟
- إلى أي مدى نجح في تحقيق أهداف السياسة والدبلوماسية للدولة الأموية بالأندلس؟

خطة الموضوع:

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على الخطة المكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع والتي جاءت كالتالي:

فصل أول: جاء تحت عنوان: **النشاط الدبلوماسي في عصر الإمارة** تطرقنا فيه للأوضاع السياسية في الأندلس في عصر الإمارة بداية من تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس إضافة إلى العلاقات الخارجية للأمويين مع العالم الإسلامي والعالم المسيحي. كما استعرضنا مفهوم الدبلوماسية وملامحها في العصور الوسطى.

الفصل الثاني: جاء تحت عنوان : **ترجمة ليحي بن الحكم الغزال،** استعرضنا فيه لمحة تاريخية حول يحي بن الحكم الغزال وما تعلق بحياته وصفات ملامحه وديوان شعره بالإضافة إلى السياق التاريخي لعصر يحي الغزال، الأوضاع السياسية والاجتماعية والملامح الثقافية والفكرية السائدة في عصره، وكذا أسباب اختياره كسفير .

الفصل الثالث: جاء تحت عنوان سفارات يحي الغزال: ناقشنا فيه سفارات الغزال إلى البلاد البيزنطية وبلاد النورمان من خلفيات ومجريات ونتائج كل سفارة على حدى، ثم عرضنا خصائص نشاطه الدبلوماسي وأثره.

المنهج المتتبع:

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على عدة مناهج وهي كالآتي :

المنهج الوصفي: القائم على السرد مرتكز على مجموعة الأحداث تم توظيفه في وصف شخصية يحي الغزال من حيث نشأته وصفاته ومكانته الأدبية والسياسية، إضافة إلى إستقراء محتوى السفارة ووصف هذه البعثات والأجواء، التي كانت تقام للسفراء في استقبالهم في كلا الدولتين، وهذا المنهج الذي تفرع إلى مجموعة من الأدوات منها:

أ. الاستقراء: اعتمدنا عليه لاستقراء محتوى السفارة والتعرف على دوافع إرسالها، والتحقق من تاريخ وصول السفارة البيزنطية.

ب. التحليل:

إستخدمناه لتحليل أهداف السفارة ونتائجها وكذلك تفسير أسباب اختيار الغزال لهذه المهمة و تحليل العلاقات بسيف الدولة الأموية في الأندلس والدولة البيزنطية.

جـ. المقارنة: والذي يظهر بشكل كبير من خلال المقارنة بين الدبلوماسية في العصر الإسلامي و عصر الإمارة، وفي المقارنة بين تطور المفهوم السفارة قديما وحديثا، وقد استخدم بشكل واضح في إبراز الفروق بين أسباب تبادل السفارات بين البيزنطيين الأمويين في الأندلس.

الصعوبات:

واجهتنا في إنجاز هذا الموضوع بعض الصعوبات تمثلت في ندرة المصادر التي تتحدث عن السفارات المتبادلة بين الأندلس والبيزنطيين في عهد الرحمان الداخل.

– ندرة المصادر المخصصة ، إذ يعد موضوع النشاط الدبلوماسي ليحي الغزال من المواضع الدقيقة ولا تتوفر حوله دراسات مستقلة بكثرة، بل تتوزع أخبار في كتب التاريخ وبشكل أكبر في كتب الأدب والتركيز عليه كشخصية أدبية .

– تشتت المعلومات و اختلاف الروايات خاصة في ما يتعلق بسفارته.

– ضيق الوقت بين الالتزامات المهنية (التحضير، التدريس...).

– ومتطلبات البحث العلمي (القراءة، التلخيص، الكتابة...) إضافة إلى عدم إتقان اللغة الأجنبية إلا أن هذا لم يمنعنا من إنجاز بحثنا فإستعنا بزملاء من أجل الترجمة.

الدراسات السابقة:

نجد بعض الدراسات التي تناولت جوانب من موضوعنا منها:

- دراسة الباحث بن حاج ميلود بعنوان **الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمان الثاني (206 هـ/822-854م)**، اعتمدنا عليها في تبيان العلاقة بين الأمويين والنورمان.
- دراسة الباحثة طيطح نصيرة بعنوان "**سفارات بلاط الدولة الأموية بالأندلس مابين (138 – 422هـ/ 776- 1031م)**" تناولت فيها معاهدات الصداقة و التحالف مع بلاط الإمبراطورية البيزنطية بالقسطنطينية.

عرض لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

المصادر: اعتمدنا على مجموعة من المصادر واتي يدورها علمية متنوعة .

1- كتب الطبقات والتراجم والكتب الأدبية:

"**بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**" لصاحبه أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت 599هـ/1203م) الذي يعد من أهم كتب التراجم الأندلسية، جمع أخبار علماء الأندلس وأعيانها، وقد اعتمدنا عليه في ترجمة يحيى الغزال وخاصة وفاته.

"**سير أعلام النبلاء**" لصاحبه الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد(ت 784 هـ) : كتاب أحاط فيه كاتبه بالتاريخ الإسلامي حوادثا ورجالا، وقد رتب التراجم فيه على أساس الطبقات، ولم يقتصر على نوع معين من الأعلام، بل شمل تراجم فئات كثيرة منها الخلفاء والسلاطين والأمراء والقضاة والفقهاء والمحدثين...، وقد اعتمدنا عليه في تتبع سيرة عبد الرحمان الداخل.

كتاب "**المطرب من أشعار أهل الأندلس و المغرب** " لابن دحية ذي النسبين عمر بن حسن الكلبي (ت 633 هـ/ 1253م) من المصادر الأدبية المهمة في تاريخ الأندلس، جمع فيه مختارات

من أشعار شعراء الأندلس مع التعريف بهم، إلى جانب ما تضمنه من ترجمة للشخصيات الأدبية، فقد تضمن العلاقة بين الأدب والواقع السياسي والاجتماعي، خاصة عند ترجمته لشعراء كان لهم حضور في الحياة العامة كيحيى الغزال، وعليه فقد مكننا من معرفة أجواء إقامة يحي الغزال عند البيزنطيين وأهم الأحداث التي صادفته هناك وكذا سفارته إلى بلاد المجوس.

2- كتب التاريخ المحلي والعام:

استفدنا من العديد من المصادر التي تدخل في هذا الإطار بداية من كتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**" لأبي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت805/ 1406م): من كتب التاريخ العام، شمل أخبار العرب والعجم والبربر، تطرق إلى أخبار دولة عبد الرحمن بن الحكم، ورغم أنه أورد أخبار الأندلس بإيجاز مقارنة بالمصادر الأندلسية، إلا أنه أفادنا في علاقة الأمويين بالعالم المسيحي وأيضا في سفارة البيزنطيين الوافدة لديار المسلمين في الأندلس سنة 225 هـ/ 869 م.

كما نجد كتاب "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**" للمقري التلمساني أبي العباس (ت 1041هـ/1631م): من أهم المصنفات في تاريخ الأندلس، جمع فيه صاحبه مادة تاريخية وأدبية كبيرة عن الأندلس مستندا في كتابتها إلى عدد من المصادر الأندلسية المفقودة، وفيه تم عرض استقبال الوفد البيزنطي في بلاد قرطبة، كما أفادنا في الأوضاع السياسية للأندلس في عصر الأمارة وعلاقتها مع العالم المسيحي، وعلى الرغم من أنه بعيد عن هذه الفترة إلا أن يملك قدرة كبيرة في الوصف والتصوير من خلال المصادر التي نقل منها.

كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذارى المراكشي أبو عبد الله أحمد بن محمد (توفي بعد 712هـ / 1312م): من أهم المصادر لدراسة تاريخ الأندلس والمغرب، اعتمد فيه ابن عذارى على عدد من المصادر الأندلسية والمغربية، وقد اعتنى بذكر أوضاع تطور

الأندلس، كما تميز بجمع أخبار الأندلس والمغرب وهو ما يساعد على فهم العلاقات بينهما، وقد أفادنا الجزء الثاني من هذا الكتاب في تتبع الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر الإمارة، وكذا العلاقات الأموية مع العالم المسيحي.

"**المقتبس في أخبار الأندلس**" لابن حيان القرطبي (469هـ/ 1176م): كتاب جمع فيه مؤلفه أخبار الأندلس منذ الفتح الإسلامي سنة 91هـ/711م إلى نهاية خلافة الحكم المستنصر 366هـ/976م، تضمن معلومات قيمة عن النورمان وغزواتهم إلى بلاد الأندلس، وقد أفادنا في سفارة يحي الغزال إلى البلاد البيزنطية وبلاد النورمان.

"**الكامل في التاريخ**" لابن الأثير الجزري(ت 630 هـ): من أبرز المصنفات في التاريخ العام، جمع فيه ابن الأثير تاريخ العالم الإسلامي منذ أقدم العصور حتى عصره، وتكمن قيمته في كونه اعتنى بجمع الأخبار من مصادر متعددة، إضافة إلى أنه قد ربط أحداث الأندلس بما كان يحدث في المشرق، ما يساعد على فهم أوسع للظروف التاريخية التي نشطت بها الدبلوماسية الأندلسية، لذا فقد اعتمدنا عليه في تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس، وفي علاقة الأمويين مع النصارى.

3-كتب الجغرافيا التاريخية:

استفدنا من كتب الجغرافيا في دراستنا ككتاب "**معجم البلدان**" لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ/1229م): هو معجم جغرافي يعرف فيه مؤلفه بالبلدان والبحار والأنهار...، مرتبا إياه بالحروف الهجائية، وقد استفدنا منه في شرح مدن كثيرة تخص الإمارة الأموية في الأندلس كمدينة سرقسطة و قَوْرة و إلبيرة.

"**الروض المعطار في خبر الأقطار**" للحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ): اهتم فيه بوصف البلدان والأقاليم مع إيراد معلومات تتعلق ببعض أخبارها التاريخية، ما يفيد في ربط العلاقة بين أحداث الأندلس بمكانها، كما يفيد في التعرف على المسالك والطرق

والبلدان التي كانت موضوعا للسفارات والرحلات، وقد اعتمدنا عليه في التعريف بالعديد من المناطق في دراستنا مثل قادس والقبطيل ونهر تاجة .

المراجع:

اعتمدنا على جملة من المراجع التي أفادتنا في دراستنا نذكر منها ما يلي:

"**السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى**" لمؤلفه إبراهيم العدوي الذي أفادنا في التعرف على كيفية تعامل الدولة المسلمة مع السفير الموفد إليها وكتاب سليمان الرحيلي "**السفارات الإسلامية إلى دولة البيزنطيين**" أفادنا في الحديث عن السفارات التي تمت في عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط، أيضا أفادنا في هذا الإطار كتاب المستشرق ليفي بروفنسال"**تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)** ، كما استفدنا من كتاب السيد عبد العزيز سالم "**القرطبي حاضرة الخلافة في الأندلس**" أفادتنا كثيرا في دراستنا خاصة حول السفارات ، وخالد الصوفي "**تاريخ العرب في اسبانيا – نهاية الخلافة الأموية في الأندلس**" أفادنا في دراستنا خاصة في علاقات الدولة الأموية

المراجع الأجنبية:

بالإضافة إلى المصادر والمراجع العربية استفدنا من بعض المراجع الأجنبية ومنها:

Eduardo Manzano Moreno :The cowt of the caliphate of Al-Andalus.

والذي أفادنا في ذكر الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر الإمارة خاصة مرحلة التأسيس.

الفصل الأول: النشاط الديبلوماسي في عصر الإمارة.

أولاً: الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر الإمارة.

ثانيًا: الديبلوماسية في الفكر الإسلامي وعصر الإمارة.

مدخل:

يعتبر عصر الإمارة من أهم المراحل التأسيسية في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس الإسلامية، إذ تميز هذا الأخير بتحولات كبيرة شملت البنية السياسية وكذا العلاقات الخارجية للدولة الناشئة، فبعد سقوط الدولة الأموية في المشرق وجد الأمويون أنفسهم أمام تحد جديد تجسد في بناء كيان مستقل يحافظ على شرعية الحكم الأموي ويؤسس لوجود سياسي قوي في أقصى الغرب الإسلامي، وفي هذا السياق برز النشاط الديبلوماسي كأداة فعالة لتحقيق الاستقرار الداخلي وتحقيق التوازن في العلاقات مع القوى الإقليمية المحيطة.

لقد شكل النشاط الديبلوماسي في عصر الإمارة وسيلة هامة للتعامل مع المتغيرات العسكرية والسياسية، سواء مع المشرق الإسلامي أو مع الممالك والإمبراطوريات المسيحية المجاورة، وهو ما أظهر حنكة الأمراء الأمويين في تسيير الشؤون الخارجية للدولة، كما أسهمت هذه السياسة في ترسيخ صورة الدولة الأموية بالأندلس كقوة قائمة بذاتها.

أولًا الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر الإمارة:

1.تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس:

في سنة 132هـ/749م سقطت الدولة الأموية في المشرق على يد العباسيين[1]، الذين تمكنوا من القضاء على آخر [2]الخلفاء الأمويين وهو مروان بن محمد(127-132هـ/744-749م)[3]، وقام العباسيون بتتبع الأمويين وملاحقتهم، وكان ممن أفلت منهم الأمير عبد الرحمن بن معاوية[4]

[1] النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 1423هـ، ج24، ص6؛ العمري أحمد بن يحيى بن فضل الله (749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، 1423هـ، ج24، ص13.

[2]

[3] ابن عذاري أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو 695هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س.كولان و ليفي برفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م، ج2، ص38؛ المقري شهاب الدين: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، دط، بيروت، 1900م، ج1، ص327.

[4] Eduardo Manzano Moreno: The Court of the Caliphate of Al-Andalus, Four years in Umayyad Córdoba, tran: Jeremy Roe, 1st ed, Edinburgh university press, Edinburgh, 2023, p 4.

بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى بلاد المغرب قاصدًا أخواله من برابرة طرابلس ليحتمي بهم[1]، ولقد كان بلغه أخبار الأندلس وما بها من فتنة بين القبائل المضرية واليمانية يقتتلون على العصبية[2]، فأرسل مولاه بدرًا[3] الرومي ليدعو له بالأندلس عام 136هـ/753م، فاستطاع أن يجمع أعوانًا حوله ثم عاد إلى الأمير عبد الرحمن يخبره بأحوالها[4]، ثم جمع جيشًا ليساند به الداخل فعبر إلى ميناء المنكب في سنة 138هـ/755م[5]، وفي هذا الوقت كان والي الأندلس يوسف الفهري[6] يقوم بإخماد تمرد عليه في مدينة سرقسطة[7].[8] (انظر الملحق رقم 01 ص75)

بعد نزول عبد الرحمن الداخل بثغر المنكب، سار إلى حصنٍ من حصون إلبيرة[9] حيث تجمع فيه من بايعوه على النصرة، فحاول عامل يوسف الفهري أن يفرق جمعه فلم يفلح، وحاول الداخل أن يسبق إلى قرطبة فخرج إليه يوسف الفهري وأدركه على بعد خمسة وأربعين ميلًا من

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج1، ص328. معالي محمد ياسين: الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، وعلاقتها مع بلاد المغرب والمشرق (138-316هـ/756-928م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017، ص22.

[2] ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت571هـ): تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط1، بيروت، 2000م، ج37، ص446.

[3] المقري: المصدر السابق، ص328.

[4] صلابي علي محمد محمد: عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج، دار البيارق، ط1، عمان، 1998م، ص103.

[5] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص44؛ أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 2000م، ص92.

[6] يوسف بن عبد الرحمن الفهري: هو يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، ولي الأندلس تسع سنين وتسعة شهور، اجتمع عليه أهلها من أجل أنه قرشي وبايعوه في شهر ربيع الآخر سنة 129هـ، قُتل سنة اثنتين وأربعين وألحق به ابنه عبد الرحمن بن يوسف وكان محبوسا بقرطبة؛ ابن الأبار محمد بن عبد الله(ت658هـ): الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985م، ج2، ص ص347_350.

[7] سُرقُسْطة: مدينة تقع شمال شرق الأندلس، مبنية على نهر إيبرو، وتتصل أعمالها بتطيلة؛ شهاب الدين ياقوت الحموي (ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج3، ص213.

[8] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص44.

[9] إلْبيرَة: كورة من كور الأندلس، متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، وبينها وبين قرطبة تسعون ميلا؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص244.

قرطبة، فكانت وقعة عظيمة بالقرب من نهر عند المصارة[1]، انتصر فيها الداخل ودخل قرطبة دخول الفاتحين، وصلى في مسجدها الجامع، وبايعه أهلها على الطاعة والملك[2].

بعد الهزيمة في معركة المصارة توجه الصميل بن حاتم[3] إلى جيان[4] ليجمع فيها أنصاره، كما اتجه يوسف إلى طليطلة وحشد فيها ما استطاع من الأنصار، ثم اجتمعوا في إلبيرة، وتآمرا على استدراج الداخل إلى جيان، ليخلوا لهم قصر الإمارة بقرطبة، وعندما بلغ الداخل خبرهم جمع جنده وتوجه إليهما سنة 139هـ/756م، فلما علم يوسف بذلك عاد إلى قرطبة، وتمكن من دخول قصر الإمارة، إلا أن الداخل أدرك المؤامرة فعاد مسرعا بجنده صوب قرطبة وتمكن من استعادتها[5]، وتصالح الداخل مع يوسف الفهري والصميل إلا أنهما عادا إلى الثورة على الأمير، فتمكن الأخير من القضاء عليها وأسر الصميل وبعث إليه من يخنقه في السجن وقتل الفهري في طليطلة، الأمر الذي مكنه من القضاء على أولى العقبات التي واجهته في سبيل استقرار إمارته وتثبيت حكمه بالأندلس[6].

ومما يُستدل به على على اضطراب الأحوال في صدر دولة بني أمية بالأندلس، أن الأمير عبد الرحمن الداخل لم ينعم بالاستقرار التام عقب القضاء على الفهري والصميل، بل توالت عليه الفتن والثورات في سائر نواحي البلاد، وكان من أبرزها تلك التي قامت في إشبيلية على يد رزق

---

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص44.

[2] ابن عذاري: نفسه، ص47؛ العبدي: المرجع السابق، ص ص92-93.

[3] الصميل بن حاتم: أبو جوشن الصميل بن حاتم بن شمر، كان جده من أشراف عرب الكوفة، وهو أحد قتلة الحُسَين بن علي رضي الله عنهما ، فر إلى الشام بعد قيام المختار بقتل عدد من قتلة الحسين، دخل الصميل إلى الأندلس في طاعة بلج بن بشر، قام بأمر المضرية في الأندلس، كان مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري في حربه ضد عبد الرحمن بن معاوية بعد أن ولاه مدينة سرقسطة ثم طليطلة، توفي الصميل في سجن عبد الرحمن بن معاوية سنة 142هـ؛ ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص ص 67-68.

[4] جَيَّان: مدينة تقع جنوبي الأندلس، إلى الشرق من قرطبة، تتصل بكورة إلبيرة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخًا، وهي تقع بين غرناطة ومرسية؛ الحموي: المصدر السابق، ج2، ص195.

[5] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص ص48-49؛ المقري: المصدر السابق، ج3، ص52.

[6] ابن عذاري: المصدر السابق،ج2، ص49.

بن النعمان الغساني (ت143/760م)، الذي دعا إلى الخروج عن طاعة الأمير، غير أن هذا الأخير تمكن من القضاء ثورته، وأسره، وتشتيت أنصاره، وإعادة الأمن إلى تلك الناحية[1]، إضافة إلى ثورة شقيا البربري (ت160هـ/776م)[2]، دعا فيها إلى إقامة دولة شيعية فاطمية في الأندلس، فكان في دعوته خروج عن بيعة الأمير، مما استوجب الرد عليه بالحزم، فتم القضاء على ثورته[3].

ولم تقتصر الفتن على ماتقدم، بل ظهرت حركات أخرى مدفوعة بدعم من العباسيين، منها ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي، وثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وقد كانت تهدف إلى إعادة النفوذ إلى الفهريين، ومن الثورات التي اتصل أصحابها بالقوى الأجنبية ثورة الحليفين الحسين بن يحيى الأنصاري(ت165هـ/781م)، وسليمان بن يقظان الأعرابي(ت163هـ/779م) الذين اتصلا بشارلمان Charlemagne [4] ملك الفرنجة، واستعانا به على حكم الأمير عبد الرحمن، وكان شارلمان يطمع في مد نفوذه إلى بلاد الأندلس، فسيَّر جيشه لغزوها، غير أن حملته لم تكلل بالنجاح[5].

ومن الخارجين على الأمير أيضا أبي الصباح يحيى اليحصبي(ت150هـ/767م)، الذي شارك الفهريين في معركة المصارة، وقد تمكن الأمير من قتله بعد دعوته إلى قرطبة[6]، زد على

---

[1] مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989م، ص92.

[2] شقيا البربري: هو سفيان بن عبد الواحد المِكْناسي، وأصله من لَبْدانية، كان معلم كتاب؛ مجهول: نفسه، ص ص 97-98؛ معالي محمد علي ياسين: المرجع السابق، ص24.

[3] مجهول: المصدر السابق، ص98؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2000م، ص116.

[4] شارلمان: أو كارل الكبير، حفيد شارل مارتل، ملك الفرنجة في الفترة الممتدة بين 768م إلى 814م، توج إمبراطورا على يد البابا سنة 800م، عمل على ترسيخ المسيحية ونشر التعليم؛ Rosamond Mckitterick: CHARLEMAGNE, The Formation of a European Identity, 1st ed, Cambridge university press, Cambridge, 2008, p1.

[5] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص ص51-52 ؛ 56-57 ؛ الصوفي خالد: تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة، منشورات جامعة قاريونس، ط2، د ب، 1980، ص58.

[6] المقري: المصدر السابق، ج3، ص33.

هذا العديد من الثورات المتفرقة التي نجح الأمير في إخمادها، حرصا منه على استقرار ملكه، فبذل كل مابوسعه ليحافظ على أجزاء الدولة من الضياع.

2.العلاقات الخارجية للأمويين بالأندلس:

أ. مع العالم الإسلامي:

أ-1. العلاقات مع الخلافة العباسية:

لم يُكتب للخليفة أبي جعفر المنصور أن يُعيد وحدة دار الإسلام تحت راية سلطانه، إذ حالت دونه شواغل المشرق، واضطراب أركان دولته، وتنازع الأمر بينه وبين أقاربه من بني العباس، كثورة عمه عبد الله بن علي، الذي أراد الخلافة لنفسه، فضلًا عن صراعه مع الفرس وعلى رأسهم أبو مسلم الخراساني، كما لم يخلُ الأمر من ثورات الشيعة العلويين[1].

وقد عُرف المنصور بالحزم والصرامة، فتمكن من القضاء على عمه، وتخلص من أبي مسلم الخراساني، ثم أجهز على تمرد الشيعة فقضى على محمد النفس الزكية في الحجاز، وألحق به أخاه إبراهيم بن عبد الله بالعراق[2]، اجتمعت هذه الانشغالات من جهة، وبعد المسافة بينه وبين المغرب والأندلس من جهة أخرى لتشغل الخليفة أبي جعفر المنصور عن إرسال حملات وبعوث عسكرية لإعادة الثائرتين إلى حظيرة الخلافة العباسية[3].

في سبيل استرجاع الأندلس وإعادتها إلى حظيرة الخلافة شهد عصر عبد الرحمن الداخل اضطرابات وثورات متعددة، لعل من أبرزها تلك التي كانت بإيعاز من الخليفة العباسي أبي جعفر

---

[1] عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس والمغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1999م، ص69.

[2] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، ط14، بيروت، القاهرة، 1996م، ج2، ص29.

[3] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص69.

المنصور، بمساعدة ولاة إفريقية والمغرب، منها ثورة العلاء بن مغيث الجذامي[1] سنة 146هـ الذي أسلفنا ذكره آنفًا، وكان قد وُعد بإمارة الأندلس إن تغلب على الداخل، إلا أن هذا الأخير تمكن من القضاء عليه وعلى عدد من أتباعه[2]، ورغم كون المنصور لم ينجح في القضاء على الداخل، إلا أنه وضع أساسا لسياسة سار عليها خلفه في معاداة بني أمية في الأندلس[3].

بعد تولي محمد المهدي الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور سنة 158هـ/755م، لم يتردد في مجاراة السياسة التي رسمها والده، فرغب رغبة أبيه في توحيد العالم الإسلامي تحت الراية السوداء، لذلك أقدم على عقد مؤامرة مع ملك الفرنجة شارلمان لغزو الأندلس[4]، إذ قام هذا الأخير بتسيير جيش نحو الأندلس قاصدا مدينة سرقسطة[5]، إلا أنه سرعان ماعاد بعد أن وردته أنباء من عاصمته عن تمرد القبائل الجرمانية وخروجها عليه، بل ارتدادها عن الديانة المسيحية[6]، وهكذا فشلت هذه المؤامرة وعاد شارلمان يجر ذيول الخيبة والهزيمة، أما بنو العباس فرغم فشلهم للمرة الثانية إلا أن فكرة استعادة الأندلس ظلت شغلهم الشاغل[7].

أ-2. العلاقة مع الأدارسة العلويين في فاس:

من المعروف أن مؤسس الدولة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان قد فرَّ من الحجاز بعد موقعة فخ سنة 169هـ/785م[8]، وكان ينوي مد سلطانه على العالم

---

[1] ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989م، ج2، ص54؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص52؛ مجهول: المصدر السابق، ص93.

[2] المقري: المصدر السابق، ج1، ص332.

[3] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص75.

[4] نفسه، ص79.

[5] مارتين تيودور هوتسما وآخرون: موجز دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، د ب، 1998م، ج4، ص1229.

[6] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص82.

[7] نفسه، ص ص 83-84.

[8] العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1423هـ، ج5، ص151-152.

الإسلامي، بمغربه ومشرقه وظلت تلك هي أمنيته وأمنيه خلفه من بعده، لكن المنية حالت دون تحقيقه لذلك، إذ أرسل له الخليفة هارون الرشيد(170-193هـ/786-809م) من دس له السم فتوفي سنة 175هـ/791م خوفا من استيلائه على إفريقية والمغرب[1]، أما فيما يخص العلاقة بين قرطبة وفاس، فإن الحكم بن هشام أمير قرطبة أراد استغلال فرصة عداء الأدارسة مع الدولة العباسية، فبعث الحكم إلى إدريس الثاني بسفارة تهنئة لاعتلائه العرش[2]، وعلى الرغم مما تميزت به هذه العلاقة في بدايتها من الصداقة والود، إلا أنها سرعان ما تلاشت وانقلبت إلى عداوة، بسبب استقبال المولى إدريس الثاني لعدد من الفرسان الأندلسيين الساخطين على الأمير الحكم بن هشام، والفارين من الأندلس[3]، وكذا استقباله للمنفيين الربضيين من الأندلس على إثر فشل ثورتهم ضد الحكم في قرطبة سنة 202هـ[4].

أ-3. العلاقة مع الرستميين في تاهرت:

بحكم الموقع الجغرافي للرستميين في المغرب الأوسط، وظروفهم السياسية والمذهبية، فقد توجهوا إلى بني أمية في الأندلس وعقدوا معهم تحالفًا وديا، إضافة إلى كونهم يتوسطون عدوًّا شرقيا يتمثل في الأغالبة، وعدوًّا غربيا يتمثل في الأدارسة[5]، فكان من الطبيعي في هذا الحال حدوث تقارب ودي، وحتى سياسي وعسكري واقتصادي وحضاري، وهكذا اتسمت العلاقات الأموية الرستمية بالطابع الودي، رغم الاختلاف المذهبي بينهما، من مظاهرها استقبال الأمير عبد الرحمن الأوسط وفدا رسميا في بلاطه يتكون من أبناء الإمام عبد الوهاب الرستمي سنة 207هـ، حيث

[1] ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص100.

[2] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص91.

[3] ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، تر: محمود عبد العزيز سالم و محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 1990م، ص ص 36-37.

[4] أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص130.

[5] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص96.

بالغ الأمير عبد الرحمن الأوسط في حفاوة استقبالهم، وكان معهم سخيا كريما، إذ أنفق عليهم ألف ألف دينار (مليون دينار) حسب ما يذكره ابن سعيد[1].

أ-4. العلاقة مع المدراريين أصحاب سجلماسة:

أما العلاقة بين بني أمية في قرطبة، ودولة بني مدرار الصفرية بسجلماسة[2]، فغير واضحة وخاصة قبل عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسطن لأن المصادر لم تذكر لنا معلومات تساعد على تتبع هذه العلاقة وتطورها، إلا أنه يبدو أن العلاقات القرطبية السجلماسية قد بدأت مبكرة، لاشتراك كليهما في العداء مع العباسيين، وحلفائهم الأغالبة في إفريقية من جهة، وعدائهم مع الأدارسة العلويين في فاس من جهة أخرى[3]، زد على ذلك أن بني مدرار تربطهم بالرستميين أصدقاء بني أمية في الأندلس روابط مصاهرة وتحالف، لذلك جمعت الطرفين مصلحة سياسية مشتركة رغم الاختلاف المذهبي، وبعد المسافة بينهما[4]، ويؤيد هذا الطرح المساعدات الاقتصادية التي قدمها ميمون بن مدرار إلى عبد الرحمن الأوسط بعد أن حلت بالأندلس أزمة اقتصادية في سنة 232هـ/847م، حيث قدم له كميات من الحنطة والسكر والثمر[5].

أ-5. العلاقة مع البرغواطيين أصحاب تامسنا:

نشأ تحالف ودي بين البلدين منذ وقت مبكر، أي منذ نشأة هذه الدويلة في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، بإقليم تامسنا في المغرب الأقصى، وينسب بعض المؤرخين تأسيس هذه الدويلة إلى رجل يعود أصله إلى برباط الأندلس نسبة إلى وادي برباط جنوب الأندلس، يهودي الأصل، يدعى صالح بن طريف بن شمعون البرباطي، كانت له رحلة إلى الشرق تعلم فيها علم

---

[1] ابن سعيد المغربي الأندلسي أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ): المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1955م، ج1، ص ص47-48.

[2] القلقشندي أحمد بن علي (ت821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م، ج5، ص160.

[3] محمود اسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء، 1985، ص183.

[4] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص111.

[5] القلقشندي: المصدر السابق، ص164.

الكلام، ولما عاد إلى تامسنا أظهر الإسلام، فمال إليه البربر في تلك المنطقة، ثم ادَّعى النبوة فيهم ، وزعم أن القرآن أنزل عليه بلسان بربري، وشرع لهم ديانة جديدة[1]، وقد أشارت النصوص التاريخية أنه أوصى ابنه الياس بموالاة الأمويين بالأندلس قبل رحيله إلى المشرق[2]، إلا أن هذه العلاقات الودية بين البلدين لم تستمر طويلا إذ سرعان ما فترت، بسبب مجاهرتهم بدينهم الجديد، فأصبحوا مجوسا في نظر المسلمين[3].

ب. مع العالم المسيحي:

ب-1. العلاقة مع ليون (Leon)

لقد أدى انشغال عبد الرحمن الداخل بحروبه الداخلية التي سبق ذكرها إلى إهماله لسياسته الخارجية تجاه نصارى الشمال الإسباني، الأمر الذي أتاح لمملكة جليقية واشتريس أخطر التجمعات النصرانية المناوئة للمسلمين أن تزداد توسعا على حساب حكومة قرطبة، مما اضطرها إلى الاعتماد على إمكانياتها الداخلية في مواجهة الخطر الزاحف إليها من جهة الشمال[4]، حيث وجد ملك جليقية فرويلا الأول (141-158هـ/ 758-774م) الفرصة أثناء انشغال الأمير بقمع ثورة يوسف الفهري[5]، فعبر نهر دوير وقام بمهاجمة الثغور الإسلامية، فاستولى على أراض من مدينة لك وبرتغال وسمورة وقشتالة وشقوبية وضمها إلى مملكته[6]، وهكذا سقطت هذه الأراضي في

---

[1] كاتب مراكشي (ت ق6هـ): الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، دط، بغداد، 1986م، ج1، ص ص197-198.

[2] كاتب مراكشي: المصدر السابق، ص198؛ أبو عبيد البكري الأندلسي (ت387هـ): المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، دط، د ب، 1992م، ج2، ص820.

[3] كاتب مراكشي: المصدر السابق، ص198.

[4] سائدة عبد الفتاح أنيس سويلم: علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا (138-300هـ/755-912م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2001م، ص83.

[5] مجهول: المصدر السابق، ص88-92. النويري: المصدر السابق، ص339.

[6] عبد الرحمن بن خلدون (732-808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1981م، ج4، ص156؛ المقري: المصدر السابق، ج1، ص330.

عصر أمير من أقوى أمراء بني أمية[1]، ورغم هذه الانتصارات التي حققها فرويلا الأول إلا أنه قد اضطر إلى عقد معاهدة سلام مع الأمويين مدتها خمس سنوات، تبدأ من سنة 142هـ/759م، تعهد فيها بدفع مبالغ كبيرة للدولة الإسلامية، حتى يتفرغ لقمع ثورات الأشراف الداخلية في مملكته[2].

لم يتسنى لعبد الرحمن الداخل الرد على اعتداءات النصارى إلا في سنة 150هـ/768م، وهي السنة التي شهدت أول لقاء عسكري بين الداخل ونصارى الشمال، حيث وجه حملة بقيادة مولاه بدر إلى ألبه Alava [3] شرقي ليون، فانتصر على أهلها وأخذ منهم الجزية[4].

كما قام هشام بن عبد الرحمن بإعلان الجهاد فأرسل جيشا سنة 176هـ/792م، قوامه أربعون ألف مقاتل على رأسه قائده أبو عثمان عبيد الله بن عثمان[5] وسيَّره إلى ألبه والقلاع، فانتصر هذا الأخير على جيش النصارى بقيادة ملكهم برمودو (برمند) ثم عاد إلى قرطبة محملا بالغنائم[6]، كما أرسل الأمير هشام جيشا آخر في السنة نفسها 176هـ/ 792م، بقيادة يوسف بن بخت[7] إلى

---

[1] سائدة عبد الفتاح سويلم: المرجع السابق، ص83.

[2] شمس الدين الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985م، ج8، ص250.

[3] ألبه (Alava): هي الإقليم الذي يقع عند منابع نهر إبره على ضفته اليمنى، إلى الشرق من جبال كنتبريه على أبواب فرنسا؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، ط1، مصر، 1936م، ج1، ص321؛ سائدة عبد الفتاح سويلم، المرجع السابق، ص84.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص54.

[5] أبو عثمان عبيد الله بن عثمان: أول من تولى منصب الوزارة لعبد الرحمن الداخل، ثم جمع له منصبي الوزارة والكتابة لمكانته ونصرته فهو أحد الذين ناصروا الداخل وهيأوا له سلطانه في الأندلس قبل عبوره إليها؛ النويري: المصدر السابق، ج23، ص355؛ المقري: المصدر السابق، ج3، ص29.

[6] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص63.

[7] يوسف بن بخت: هو أبو الحجاج يوسف بن بخت مولى عبد الملك بن مروان بن الحكم، دخل إلى الأندلس في جند الشام مع طالعة بلج بن بشر القشيري، وكان أحد القائمين بأمر عبد الرحمن بن معاوية، فعهد إليه بمنصب الحجابة وكان يستخلفه على قرطبة، طال عمره فكان أحد قواد الأمير هشام بن عبد الرحمن؛ ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، 375.

جليقية، حيث هزم جيش برمودو وقتل منه مايزيد عن عشرة آلاف[1]، واستمرت العلاقات بين الطرفين يغلبها العداء والحروب بين الطرفين طيلة فترة الإمارة الأموية.

ب-2. العلاقة مع نبره (Navarra)

ظهرت نبره ككيان مستقل منذ بداية القرن الثالث للهجرة / التاسع ميلادي في عصر الأمير عبد الرحمن الثاني (206هـ-238م/ 820-852م)[2]، وقد شاركت مع جليقية في حروبها ضد المسلمين، فخرج إليهم الحاجب عبد الكريم بن مغيث سنة 200هـ/ 815م، والتقى مع جيش بلشك الجلشقي (فلاسكو Velasco) أحد زعماء البشكنس قبل أن تظهر الأسرة الحاكمة في نبره بعد ذلك التي تحالفت مع قوات ألفونسو الثاني، وبعد معركة دامت ثلاثة عشر يوما انهزمت قبائل البشكنس وقتل زعيمها شانجه فارس بمبلونه[3]، بعد هذه الهزيمة سعت نبره إلى السلم، خاصة بعد نجاح جيش عبد الرحمن الثاني في التصدي لملوك جليقية، وتعرض بمبلونه نفسها لهجوم الجيش الفرنجي سنة 209هـ/823م بقيادة أزنار وابلو، فاستغاثت بالمسلمين من حكام الثغر الأعلى الذين تربطهم بهم روابط مصاهرة، فنجحت قوات البشكنس بمساندة المسلمين من إلحاق الهزيمة بالجيش الفرنجي[4].

كعادة نصارى الشمال الذين لم يحترموا عهدا أبرموه، فحالما أتيحت لهم الفرصة تحالفوا مع أصهارهم بني قسي ضد قرطبة[5]، ويعود الخلاف بين بني قسي وأمراء قرطبة إلى خلاف داخلي وقع بين قادة الجيش الإسلامي، في طريق عودتهم إلى قرطبة بعد هزيمتهم لجيش الفرنجة سنة 226هـ/ 841م، حيث صدرت معاملة قاسية عن جرير بن موفق أحد قادة الجيش ضد موسى

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج1، ص337؛ النويري: المصدر السابق، ج23، ص355.

[2] سائدة عبد الفتاح أنيس سويلم: المرجع السابق، ص105.

[3] النويري: المصدر السابق، ج23، ص373؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، 75.

[4] شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 1352هـ، ص147.

[5] العذري أحمد بن عمر بن أنس: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، دط، مدريد، دت، ص30.

بن موسى، مما أغضب هذا الأخير فأعلن خروجه عن الأمير عبد الرحمن الثاني[1]، إلا أن هذا الأخير نجح في القضاء على ثورته[2].

ب-3. العلاقة مع قطلونية (Catalonia) (برشلونة) (Barcilona) الخاضعة للنفوذ الفرنجي:

بعد حملة شارلمان الفاشلة على الأندلس سنة 161هـ/777م، اعتنى بتنظيم مقاطعة اكيتانيا في الجنوب ليجعلها خط الدفاع الأول عن فرنسا ضد أي محاولة توغل قد يقدم عليها أمراء قرطبة[3]، بعد ذلك ساد الهدوء الحدود بين الدولة العربية في الأندلس والفرنجية في فرنسا، فلم يعرف عن الأمير عبد الرحمن الداخل أنه غزا أراضي الفرنجة، كما أن شارلمان لم يتدخل في شؤون الأندلس ردحًا من الزمن[4].

وفي سنة 177هـ/ 793م استأنف الأمير هشام الجهاد ضد الفرنج، فسيَّر حملة بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث استطاع فيها أن يخرب جيرونه (جرندة)، وكان الفرنجة قد استولوا عليها منذ عام 169هـ/785م[5]، ثم مضى إلى أربونة قاعدة الثغر الإسلامي في سبتمانيا، وظل شهورا يخرب الحصون ويحرق القرى ووصل إلى أرض شرطانية[6].

لقد أدى انشغال قرطبة بأحوالها الداخلية إلى إتاحة الفرصة للفرنجة للعبث بثغور المسلمين، فاستولوا على برشلونة سنة 185هـ/ 801م، وجعلوها قاعدة للثغر القوطي الذي غدا فيما بعد

---

[1] النويري: المصدر السابق، ج23، ص381.

[2] سائدة عبد الفتاح أنيس سويلم: المرجع السابق، ص107.

[3] الصوفي خالد: المرجع السابق، ص92.

[4] المقري: المصدر السابق، ج1، ص ص330-331.

[5] ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1997م، ج5، ص309؛ المقري: المصدر السابق، ج1، ص337.

[6] ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص309.

إمارة نصرانية هي إمارة قطلونية[1]، واستمرت الجهود الإسلامية بعدها في محاولة لاسترجاع هذه المناطق[2].

ثانيًا الدبلوماسية في الفكر الإسلامي وعصر الإمارة:

1.مفهوم الدبلوماسية وملامحها في العصور الوسطى:

أ. مفهوم الدبلوماسية:

يُعدُّ مصطلح "الدبلوماسية" من المصطلحات المستحدثة في الفكر السياسي الحديث، ولم يرد بهذا اللفظ في مدونات العصور الوسطى الإسلامية[3]، إذ عبرت المصادر آنذاك عن العلاقات بين الدول بألفاظ من قبيل: السفارة، والرسالة، والوفادة، والهدنة، والعهد، والمكاتبات..، كما تجدر بنا الإشارة إلى أن غياب المصطلح لا يدل على غياب الممارسة، فقد عرفت الدول الإسلامية والمسيحية نظمًا واضحة لتنظيم صلاتها الخارجية، تمثلت في إرسال الرسل، وإبرام العهود، وتبادل الهدايا، وعقد الصلح..، وعليه فإنَّ استعمال مصطلح "الدبلوماسية" في هذا السياق إنما هو من باب التقريب الاصطلاحي للدلالة على تلك الممارسات السياسية التي نظمت العلاقات بين الكيانات في العصر الوسيط.

لذلك فاستخدام الكلمة للدلالة على مجريات العلاقات بين الدولتين لا يشكل وضعا للكلمة في غير موضعها، فإذا كانت هذه الكلمة تشير إلى إدارة علاقات دولة ما مع دولة أو دول أخرى، فإنَّ هذا ينطبق على ماكان سائدا بين الدولة الإسلامية في الأندلس والدول الأخرى، وقد استخدمنا كلمتي "سفارة" أو "وفادة" للإشارة إلى مجريات العلاقات الخارجية للدولة.

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص340.

[2] سائدة عبد الفتاح سويلم: المرجع السابق، ص ص 112-119.

[3] إحسان الله ناصح: أهمية السفارة في الإسلام، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، كلية الشريعة، جامعة ننجرهار، أفغانستان، 5 سبتمبر 2021م، الإصدار 29، ص410.

لغويا "السَّفِيرُ: الرسول والمصلح بين القوم، والجمع سُفَرَاء"[1]، ويقال أيضا: " وفَدَ فلان يَفِدُ وِفَادَةً إذا خرج إلى ملك أو أمير...وأوفدته أنا إلى الأمير:أرسلته..."[2]، أما المفهوم الاصطلاحي لأساليب الاتصال الخارجي فتعني: " عملية استمرار الاتصالات الخارجية على اختلاف أنواعها وأشكالها ودرجاتها تؤدى بواسطة السفراء والرسل والمبعوثين ويكونون وكلاء وممثلين للمرسل لدى الملك أو الرئيس المرسل إليه في دولة أخرى في أمر من الأمور المعلقة بينهما وينتدب لهذه المهمة من يصلح لها، ويكون نائبا أو وكيلا لمرسله، في كل ما ينسب إليه في توقيع الاتفاقات والمعاهدات أو إنهاء حالة الحرب."[3]

ب. ملامح الدبلوماسية:

منذ بزوغ شمس الإسلام قامت الدولة الإسلامية بدور أساسي في العلاقات الدولية، وقد اعتمد المسلمون في علاقاتهم مع الدول غير المسلمة على وسيلتين أساسيتين هما الجهاد والعلاقات السلمية أو الدبلوماسية، ومنذ فترة مبكرة اختلف الفقهاء في أصل علاقة الدولة الإسلامية بالدول غير الإسلامية، فانقسموا في ذلك إلى فريقين: فريق يرى أن الأصل قائم على الجهاد، وفريق آخر رأى أن الجهاد لا يكون إلا دفاعًا وأنه مشروط بحماية الدعوة الإسلامية، وأن السلم هو الأصل في علاقة المسلمين بغير المسلمين، فالله تعالى حث على نشر الإسلام بالحسنى والكلمة الطيبة[4]، فقد سمح في القرآن الكريم للانسان باختيار عقيدته في قوله:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ

[1] ابن منظور محمد بن مكرم بن علي (ت711ه): لسان العرب، تح: اليازجي وآخرون، دار صادر، ط3، بيروت، 1414ه، ج4، ص370.

[2] نفسه، ج3، ص ص464-465.

[3] موفق سالم الجوادي: العلاقات الدبلوماسية العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، مجلة البحوث والدراسات، كلية الآداب، جامعة الموصل، الموصل، 2005م، العدد2، ص30.

[4] عمر كمال توفيق: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 1986م، ص21

لَهَآ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[1]، كما قال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2].

ومهما يكن من أمر الخلاف في الرأي حول علاقة الدولة الإسلامية مع الدول غير الإسلامية، فمن المؤكد أن المسلمين عرفوا العلاقات الدبلوماسية منذ فترة مبكرة من تاريخهم، وقد وجدوا في القرآن الكريم والسنة النبوية أساسا مكنهم من الدخول في هذه العلاقات وعقد الهدن والمعاهدات وفقا لما تسمح به الشريعة الإسلامية[3].

ولقد تطورت لاحقا العلاقات بين المسلمين وغيرهم بتطور طرق الاتصال مع الممالك والقبائل، ولم تعد العلاقات بين المسلمين وغيرهم تقتصر على التبادل التجاري، بل تعدتها إلى نواحٍ اقتضتها ظروف تنفيذ السياسة الجديدة المبنية على السلام لا القهر، وللإسلام باع طويل في عقد الاتفاقات والمعاهدات، من أهمها عهود الذمة كما عرفوا معاهدات حسن الجوار والتحالف إضافة إلى معاهدات التجارة، حيث عُرِف المسلمون بحرصهم على صيانة العهود والالتزام بها [4].

أما بالنسبة لعلاقة المسلمين بالدول الأخرى فقد ميز الفقهاء بين دار الإسلام التي اصطلحوا على إطلاقها على الدول الإسلامية، ودار الحرب التي يعني بها الدول التي يدين أهلها بغير الإسلام، وهذا التمييز لا يعني على الإطلاق بأن الأمة الإسلامية ذات طبيعة عدوانية مع الدول غير الإسلامية، بل إن العلاقة بين دار الإسلام ودار الحرب أساسها هو السلم مالم يطرأ ما يوجب الحرب[5]، وهناك من يرى بأن هناك دارًا ثالثة وهي دار العهد والتي لم يظهر عليها المسلمون،

---

[1] سورة البقرة، الآية 255.

[2] سورة النحل، الآية 125.

[3] عمر كمال توفيق: المرجع السابق، ص22.

[4] علي عودة العقابي: العلاقات الدولية دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، د د ن، دط، بغداد، 2010م، ص43.

[5] خليل رجب حمدان الكبيسي: السلام الدولي في الإسلام، دار أمجد للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2018م، ص210.

وعقد أهلها الصلح بينهم وبين المسلمين يؤدونه من أرضهم، ويسمى خراجًا دون أن يؤخذ منهم جزية رقابهم[1].

أما فيما يتعلق بصفات السفراء فقد قسمها العرب إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي الصفات الجسمانية والخلقية والثقافية، أما الصفات الجسمانية فكان: " يستحب في الرسول تمام القد وامتداد الطول وعبالة الجسم، حتى لا يكون قميئًا ولا ضئيلًا، جهير الصوت وسيما لا تقتحمه العيون ولاتزدريه النواظر...وإن كان المرء بأصغريه ومخبوءًا تحت لسانه، ولكن الصور تسبق اللسان والجثمان يستر الجنان...وإنَّ أعين الملوك تسبق إلى ذوي الرواء من الرسل...فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسيما جسيما يملأ العيون المتشوقة إليه فلا تقتحمه، ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره"[2].

وفيما يتعلق بالصفات الخلقية التي يتوجب توافرها عند الرسول فينبغي أن يكون " حاضر الفصاحة مبتدر العبارة ظاهر الطلاقة ليعجب السامع بطلاوة حديثه ويسحره بحلاوة لسانه، ثم ليكون كلامه ممتعا أنيقا نافعا لذا في الاستماع، فإن للبيان من السحر مالاينكر، وإن له في التوصل إلى البغية ماهو معروف"[3]، ولا يقتصر الأمر على الفصاحة وإنما لابد من أن يكون ذو ذكاء حاد وحجج قوية، كما يجب أن يكون فاهما للإيماء مدركا لحجج خصمه قبل أن ينطق بها، كذلك يجب أن يحتال في الحوار فذلك أقوم للوصول إلى الهدف وبلوغ المراد.[4]

أما فيما يتعلق بالصفات الثقافية فهي مكملة للصفات الجسمانية والخلقية التي يتمتع بها الرسول، إذ يشترط فيه الثقافة العامة التي لاتعني بالضرورة التدقيق في كل علم، وإنما يكون

---

[1] محمد الكدي العمراني: فقه الأسرة المسلمة في المهاجر، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 2001م، ص236؛ مخلد عبيد المبيضين: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2012م، ص180.

[2] ابن الفراء القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت458هـ): رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت، 1972م، ص47.

[3] المصدر نفسه، ص ص 34 –35.

[4] نفسه، ص35.

للرسول أنس بكل علم يستطيع التكلم عنه فيما إذا اضطر لذلك[1]، ولذلك قيل ينبغي أن يكون "جامعا مع هذا العلم الفرائض والسنن والأحكام والسير، ليحتذي مثال منسلف فيما يورده ويصدره، عالما بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال ليناظر كلا بحسب مايراه من صوابه وخطئه"[2].

2. مظاهر الدبلوماسية في عصر الإمارة بالأندلس:

إن الدبلوماسية تزدهر وتتطور بازدهار الحضارة، وبما أن الحضارة الأندلسية بلغت قمة ازدهارها فإن هذا انعكس على ازدهار المجال الدبلوماسي، فراحت قرطبة تعج بالسفراء من كل حدب وصوب، وكانت الوفود القادمة إلى الأندلس تتمتع بالحقوق والحصانات، كما أن السفراء كانوا يكرمون وتقدم لهم الهدايا تكريما لهم ولمرسليهم[3].

إن تتبع بدايات العمل الدبلوماسي في الأندلس في عصر الإمارة يقودنا إلى انتخاب عبد الرحمن الداخل لمولاه بدر ليكون البذرة الأولى لبداية العمل الدبلوماسي المثمر في تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس، حيث نجح هذا الأخير كما ذكرنا سابقا في بث الدعوة بين موالي المروانيين ليهيئ لعبور الداخل إلى الأندلس، ومن بين مادار من حديث ناجح بين المروانيين وبدر حين خاطبهم قائلا: "ما رأيكم في رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم أودكم ويدرّككم آمالكم؟ فقالوا: ومن لنا به في هذه الديار، فقال بدر: ما أدناه منكم، وأنا الكفيل لكم به، هذا فلان بمكان كذا وكذا يقدّمنَّ نفسه، فقالوا: فجئ به أهلا، إنَّا سراع إلى طاعته، وأرسلوا بدرا بكتبهم يستدعونه..."[4]، وبنجاح بدر في بث الدعوة حقق نصرا دبلوماسيا كبيرا أعاد الحكم للأمويين بعد فقدانه في المشرق بقيادة عبد الرحمن الداخل.

---

[1] القاضي ابن الفراء: المصدر السابق، ص34.

[2] نفسه، ص34.

[3] إبراهيم محمد آل مصطفى: سفارات الأندلس إلى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بورسعيد، 2013م، ص ص62-63.

[4] ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي أبو عبد الله (ت776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م، ج1، 247.

لقد سعى عبد الرحمن بن معاوية إلى تثبيت أركان دولته الجديدة، ولتحقيق ذلك رحب بالسلم والمهادنة وعقد الامان الذي تم بينه وبين مسيحيي الشمال سنة 142هـ/759م[1]، فأدى هذا الأمان إلى وصول سفارة من الشمال في أيام فرويلا الأول نتيجة للرغبة المتبادلة في السلم[2]، كما وردت إشارة إلى إرسال مبعوثين من الأندلس إلى إمبراطور فرنسا بيبين Pippin حيث استقبل في اكوتين Aquitaine ـ مدينة جنوب فرنسا ـ سنة 151هـ/ 768م وفدا من السراسين[3] في إسبانيا القادمين عبر مرسيليا، أما في أيام هشام الأول وابنه الحكم فلم يكن هناك تمثيل دبلوماسي ذو أهمية[4]، باستثناء ما ورد ذكره عن إرسال وفد إلى شارلمان في زمن الحكم الأول وقد وصل الوفد إلى اكس لاشابيل Aix la Chapell وكان هدفه عقد صلح بين الطرفين الأندلسي والفرنسي سنة 195هـ/810م، بموجبه يتنازل العرب في الأندلس عن جميع الأراضي الواقعة بين نهر ابره والبيرانه[5]، أما في زمن عبد الرحمن الأوسط فقد ساد الاستقرار الأندلس، مما انعكس على الجانب الدبلوماسي، حيث غدت الأندلس مقصدا للسفارات، منها السفارة التي وصلت إلى قرطبة من ملك الفرنجة، وقد وقع اختلاف بشأن مكان انطلاقها، فهناك من ذكر بأنها انطلقت من ملك الفرنجة إلى بلاط عبد الرحمن الأوسط[6]، وهناك من يذكر بأنها انطلقت من قرطبة إلى ملك الفرنجة أذفونش[7]، وبرغم هذا فإن انطلاق السفارة دليل على وجود صلات دبلوماسية بين البلدين بغض النظر عن مكان انطلاقها، أما في عصر الأمير محمد الأول (238-273هـ/ 852-886م)

---

[1] إبراهيم آل مصطفى: المرجع السابق، ص102.

[2] عبد الرحمن علي الحجي: أندلسيات، دار الإرشاد، ط1، بيروت، 1969م، ج2، ص65.

[3] السراسين Saracens: تعني العرب وقد أطلقها الرومان والغربيون على كل العرب؛ إبراهيم آل مصطفى: المرجع السابق، ص103؛ Pirenne Henri: Mohammed and Charlemagne, tran: Bernard Miall, Barnes and Noble books, New York, 1992, p157.

[4] عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص69.

[5] شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص 141.

[6] ابن حيان القرطبي أبي مروان (ت469هـ): المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1965م، ص169.

[7] أذفونش: المقصود هنا ملك فرنسا قارلة Charles المعروف بلقب الأصلع ابن لذريق، ولد سنة 823م/208هـ، وتوفي سنة 877م/ 263هـ؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص454؛ إبراهيم محمد آل مصطفى: المرجع السابق، ص105.

فقد ظهرت سفارة موجهة إلى الملك النصراني أذفنش، كان هدفها إطلاق سراح وزيره هاشم بن عبد العزيز وأداء فديته[1]، وفي عصر الأمير المنذر (273-275هـ/ 886-888م) ثم أخيه عبد الله (275-300هـ/ 888-912م) فلم يرد ذكر لأي تمثيل دبلوماسي أو سفارات ذات أهمية نظرا لانشغالهما بمحاولة القضاء على الفتنة والغزوات المستمرة التي أصابت الأندلس[2].

[1] إبراهيم محمد آل مصطفى: المرجع السابق، ص106.

[2] نفسه، ص107.

خلاصة الفصل:

ومن خلال ماسبق عرضه في هذا الفصل خلصنا إلى النتائج الآتية:

-لقد نجح عبد الرحمن الداخل في تثبيت دعائم الحكم الأموي بالأندلس رغم الثورات الداخلية والتهديدات الخارجية من الممالك المسيحية من جهة، والقوى الإسلامية من جهة أخرى.

-رغم حداثة مصطلح "الدبلوماسية" إلا أن الممارسة العملية كانت قائمة آنذاك وهو ما توضحه السفارات واستقبال الوفود والمعاهدات، مما يعني أن غياب المصطلح لا يعني غياب الممارسة.

-لقد بدأ العمل الدبلوماسي مبكرا في عصر الإمارة، ويظهر ذلك في انتخاب عبد الرحمن الداخل لمولاه بدر ليبث له الدعوة في الأندلس، فكان إرساله بداية العمل الدبلوماسي المثمر في تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس.

-شكل النشاط الدبلوماسي في عصر الإمارة عنصرا حاسما في تعزيز مكانة الدولة الأموية في الأندلس، من خلال تنظيم العلاقات مع الدول المسيحية المجاورة، وإقامة التحالفات، مما أكد على قدرة الدولة على الجمع بين القوة العسكرية والنشاط السياسي في العلاقات الخارجية.

الفصل الثاني: ترجمة يحيى بن الحكم الغزال.

أولاً: لمحة تاريخية حول يحيى بن الحكم الغزال.

ثانيًا: السياق التاريخي لعصر يحيى بن الحكم الغزال.

مدخل:

يعد يحيى بن الحكم الغزال من أبرز الشخصيات التي برزت في الأندلس خلال عصر الإمارة، حيث جمع بين الأدب والسياسة فكان من فحول الشعراء وسفيرًا محنكًا، وتكتسي دراسة ترجمته أهمية كبيرة، لما تتيحه من فهم أعمق لشخصيته، سواء من حيث النشأة أو التكوين العلمي، أو من خلال مكانته في البلاط الأموي، فضلًا عن إسهاماته الأدبية والسياسية، كما توضح هذه الدراسة الخلفية التي شكلت ممارساته الدبلوماسية، والتي كان لها أوضح الأثر في طبيعة العلاقات الخارجية للأندلس، وبالتالي يهدف هذا الفصل إلى التعريف بيحيى الغزال، وبيان نشأته ومكانته تمهيدًا لدراسة نشاطه الدبلوماسي في الفصل اللاحق.

أولاً لمحة تاريخية حول يحيى بن الحكم الغزال:

1.نبذة عن حياة الغزال:

أ.نسبه:

يُعرف الشاعر الأندلسي باسم أبو زكريا[1]"يحيى بن حكم البكري الجياني"، المعروف بالغزال[2]، وكنيته أبو بكر من بني بكر بن وائل[3]، ويرجع نسبه البكري إلى قبيلة بكر العربية التي عرفها المؤرخون بأنها من أعظم القبائل المحاربة[4]، في حين يعود نسبة الجياني إلى مدينة جيان الأندلس ية، وهي مملكة مشهورة في الأندلس[5]، أما لقبه "الغزال" فقد مُنح له لوفرة جماله ووسامته[6]، ويُروى أنه لُقب به في صباه أو رجولته، وقيل في حدود السبعين من عمره، وقد ورد في "البيان المغرب"

[1]إبراهيم محمد آل مصطفى: المرجع السابق، ص 114.

2الحميدي (ت 488هـ):جذوة المقتبس في ذكر ولات الأندلس،الدار المصرية للتأليف،دط،د ب،1966م،ص374.

3المقري: المصدر السابق، ص 254.

4البنداق محمد صالح: يحيى بن الحكم الغزال أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث هجري وسفير أمير الأندلس لدى إمبراطورية القسطنطينية وملك النورمان (150هـ/770م – 250هـ/864م)، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1974م، ص 18.

5رجب إبراهيم أحمد عوض:عُرف الأندلس يحيى بن حكم الغزال وملامح من حياته وشعره، المجلة العلمية للغة والثقافة، كلية اللغة العربية، جامعة السلطان عبد الحليم، ص 115.

6شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط1، مصر، 1999م، ج8، ص 230.

حوار مع الأمير عبد الرحمن بن الحكم أشار فيه الغزال إلى تجاوزه التسعين، وأن الجمال الذي اكتسب منه لقبه قد زال عنه بفعل السن[1].

ب.ميلاده ونشأته:

نشأ يحيى الغزال في قرطبة عاصمة الأندلس، وقد عاصر خمسة من أمراء الدولة المروانية، أولهم عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل[2](ت سنة 172هـ/ 788م)، وهشام بن عبد الرحمن[3](ت 180هـ/ 796م)، والحكم بن هشام[4] (ت 206هـ/ 822م)، وعبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم[5] (ت 238هـ/ 852م)، وآخرهم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[6] (ت 273هـ/ 886م)، وقد شهدت حياة الغزال جدلاً واسعاً حول تحديد عمره الدقيق، حيث تناقضت التقديرات المبنية على الروايات الشعرية مع الظروف الواقعية لمهامه،فتم الإشارة إلى أن مولده كان سنة 156هـ، مما يعني أنه عاش أربعاً وتسعين سنة (94 سنة) حتى وفاته، ومن جهة أخرى استُدل بقوله: "وما لي لا أبلي لتسعين حجة / وسبع أنت من بعدها سنتان"، والذي يوحي بأنه عاش ما يقارب مائة

---

1 ابن عذاري: المصدر السابق، ص93.

2عبد الرحمن بن معاوية (الداخل): هو عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بصقر قريش (113-172هـ/731-788م)، المشهور بالداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس ولد في دمشق تربى في بيت الخلافة بعد ما انقرض ملك الأمويين بالمشرق انتقل إلى الأندلس ودخل قرطبة و استقر بها؛ الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت1396هـ):الأعلام،دار العلم للملايين،ط5 ، بيروت،2002م، ج3،ص338.

3هشام بن عبد الرحمن (الرضا): هو هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية ، المكنى بأبي الوليد، ولد عام(139هـ-180هـ/756م-796م)،ثاني ملوك الدولة الأموية بالأندلس ولد بقرطبة كان حازما وشجاعا وشديدا على الأعداء؛الزركلي :المصدر السابق،ج8، ص86.

4الحكم بن هشام (الربضي): هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، أمير اتصف بالشجاعة والحزم والظفر في الحروب، وهو من قام بإخماد الفتن وتوطيد الأمن في الأندلس، من أفحل ملوك بني أمية بالأندلس وأول من جعل للملك فيها أبهة؛ الزركلي: المصدر السابق ،ج2، ص268.

5عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط): هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، المكنى بأبي المطرف رابع ملوك بني أمية في الأندلس، وفي عهده تحولت الأندلس إلى منارة كبرى للعلم وقبلة للعلماء والفقهاء؛ الزركلي: المصدر السابق ،ج3،ص305.

6 محمد بن عبد الرحمن بن الحكم: هو محمد بن عبد الرحمن، أبو عبد الله الأموي المرواني، بويع بعهد من والده وله من العمر إحدى وثلاثون سنة، وعُرف بحسن السيرة ونصرة أهل الحديث؛ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد: المصدر السابق، ج10، ص ص 262، 263.

سنة (99 سنة)، وتوجد رواية بديلة للبيت ذاته تشير إلى أن عمر الشاعر كان تسعاً وسبعين سنة (79 سنة).

وهو ما يتوافق مع ولادة مفترضة في سنة 171 هـ[1]، وإذا صح ذلك يكون قد عاش أكثر من تسعين سنة (90)، ويؤكد ذلك ما ذكره في أرجوزته التاريخية من قوله:

"أدركت بالمصر ملوكاً أربعة ... وخامسنا هذا الذي نحن معه"، وهو قد أدرك زمن عبد الرحمن الداخل المتوفى سنة 172هـ، وابنه هشام، وحفيده الحكم الربضي، وابنه عبد الرحمن، وحفيده محمد[2]، والذي يُفسر فعل "أدركت" بمعنى "لحقت" وليس "عاصرت"، لأن الأمير عبد الرحمن الداخل توفي قبل ولادته المحتملة (171 هـ).

أما أبرز ملامح حياته فكانت رحلته الدبلوماسية الخطيرة سفيراً إلى الدنمارك (بلاد المجوس أو النورمان) في سنة 231 هـ بتكليف من الأمير عبد الرحمن بن الحكم، ووفقاً لتقدير العمر بـ 79 سنة، يكون عمره حين سافر تسعاً وخمسين سنة (59 سنة)[3]، وهو ما يتفق مع وصف تمام بن علقمة له بأنه "شارف الخمسين"، وتُشكك الوثيقة في الروايات التي ترفع عمره عند الرحيل (إلى 81 أو 94 سنة)، لأن ذلك يتعارض مع قدرة شيخ طاعن في السن على خوض أخطار هذا الترحال الجسيم.[4]

جـ.وفاته:

يُعد تاريخ وفاة يحيى الغزال محل اتفاق بين المؤرخين، وقد كانت في سنة 250 هـ في عهد الأمير محمد، وعلى الرغم من هذا الاتفاق، فإن التقديرات لمدّة حياته ظلت متباينة، ما أدى إلى اختلاف في تحديد تاريخ ميلاده، فهناك رواية جعلت عمره 94 سنة، وهذا ما ذكرهالضبي في

1رجب إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 115.

2الكلبي ابن دحية (ت 633هـ):المطرب في أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الإبياري وآخرون، مر: طه حسين، دار العلم للجمع والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1955م، ص 138.

3نفسه، ص 138.

4رجب إبراهيم أحمد عوض: المرجع السابق، ص 116.

كتابه ست وخمسون بعد المئة أي (156 هـ)[1]، بينما الرواية الأخرى القائمة على الشعر جعلت عمره يقارب المائة عام (مولد 150 هـ)، ويظهر هذا التفاوت الجدلي بين الروايات المختلفة (94 سنة، أو 100 سنة، أو 79 سنة) مدى الإشكالية في تحديد العمر الدقيق للشاعر.[2]

2.صفاته وملامح شخصيته:

كان يحيى الغزال من أعلام عصر الحكم، وهو شخصية فذة جمعت بين الأدب والحكمة والسياسة[3]، ولُقب بالغزال لجماله ووسامته وظرافته وأناقته[4]، وقد وصفه المؤرخون بحدة الخاطر، وبديهة الرأي، وحسن الجواب، والنجدة والإقدام[5]، والحنكة السياسية[6]، والثقافة المتنوعة، ومعرفته لعلم النجوم[7]، وكان نهازاً للفرص للحصول على المال(حادثة بيعه للطعام أيام المجاعة)[8]، مقبلاً على اللهو والمجون في مقتبل حياته، ثم تاب وتنسك حين تقدمت به السن فزهد في الحياة عملاً وقولاً[9]، وكان لبقاً ذكياً، خفيف الظل، عاش نيفاً وتسعين عاماً تثقف ثقافة علمية عالية، ودرس فنون الأدب، وحفظ كثيراً من نصوصها[10]، غير أن الشعر غلب عليه[11]، وبه عُرف وفُتن به، فقد نظم الشعر حدثا[12]، وبلغ ذروة عنفوانه وشهرته في عهد الحكم[13]، وكان شعره يميل إلى الدعابة،

1الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/ 1203م):بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، 1989م، ج1، ص 674.

2رجب إبراهيم أحمد عوض:المرجع السابق، ص 117.

3 قصي عدنان الحسيني:أبو زكريا يحيى بن الحكم البكري، قسم اللغة العربية، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، كلية الآداب، العراق بغداد، 2015-2016، ص 1.

4 مجموعة من المؤلفين: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج 10، ص 362.

5الغرناطي بن هذيل التجيبي:أبحاث ودراسات في الشعر الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص 126.

6الزيات أحمد حسن: مجلة الرسالة، ج 132، ص 16.

7الكلبي ابن دحية الكلبي: المصدر السابق، ص 139.

8أحمد هيكل:الأدب الاندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،دار المعارف،ط2،القاهرة،1985م،ص164.

9محمد رضوان الداية:ديوان يحيى بن الحكم الغزال، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، ص14؛ إبراهيم محمد آل مصطفى:المرجع السابق،ص114.

10أحمد هيكل:المرجع السابق،ص160.

11إحسان عباس:تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، ص 485.

12أحمد هيكل: المرجع السابق،ص153.

13موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج 10، ص160.

والتهكم اللاذع، ولكن تطبعه في الوقت نفسه نزعة فلسفية حرّة؛ ذلك لأنالغزال لم يكن شاعراً فحسب[1]، بل كان على قول ابن حيان "حكيم الأندلس" وشاعرها وعرافها[2]، وكان متضلعاً في علوم عصره يأخذ بقسط من الفلسفة والفلك والتنجيم، وكان حر التفكير وكثير التعريض بالفقهاء والحملة عليهم حتى سخطوا عليه ورموه بالزندقة.[3]

3.ملامح شعره وموضوعاته:

أ.مراحل حياته الشعرية:

في هذه المحطة نميز أربعة مراحل مرت بها الحياة الشعرية ليحيى الغزال تتمثل في:

-المرحلة الأولى: مرحلة الشباب، وقد نظم فيها شعر الغزل والخمر والمجون، حيث يقول:

كَلَّفتُ يا قَلبِي هَوىً مُتعباً ... غالَبْتَ مِنه الضيغم الأغلبا

إنّي تَعَلَّقْتُ مَجوسيةً ... تـأبى لِشمسِ الحُسنِ أن تغربا.[4]

-المرحلة الثانية (السخرية والفكاهة): مرحلة الكبر وفيها النقد الاجتماعي والأخلاقي والتي أشار فيها إلى عيوب المجتمع بأسلوب ساخر قائلاً:

وَمُراءٍ أَخذ الناسِ ... بِسَمْتٍ وَقُطوبِ

وَخَشوعٍ يُشْبِهُ السُّقمَ ... وَضَعفٍ في الدَّبيبِ

قُلتُ: هَل تألم شَيئاً؟ ... قالَ: أَثقالَ الذُّنوبِ

قُلتُ: لا تُعْنَ بِشَيءٍ ... أَنتَ في قالبِ ذيبِ.[5]

وله في تصوير ألسنة الناس وهي تنال من الآخرين وتغتابهم قائلاً:

وَرَأَيتُ أَلسِنَةَ الرِّجالِ أَفاعِياً ... طَوراً تُثورُ وَتارَةً تَعتال.[6]

---

[1] قصي عدنان الحسيني:المرجع السابق، ص 1.

2 المقري: المصدر السابق، ص 254؛ ابن حيان القرطبي: المصدر السابق،ص243.

3 محمد عبد الله عنان:دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، دط، القاهرة، دت، ج 1، ص 253.

4 الكلبي بن دحية: المصدر السابق، ص 144.

5 جنان قحطان:الأدب الأندلسي (يحيى بن الحكم الغزال)، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية، ص 5.

6 الكلبي ابن دحية: المصدر السابق، ص 151.

-المرحلة الثالثة: مرحلة الشيخوخة، حيث نلمح الشكوى والزهديات والحكم وفيها تصوير ملامح تجربته في الحياة، ونظرته إليها بعد أن حنكته التجارب وصفقته إثر عمر طويل قائلاً:[1]

مَن ظَنَّ أَنَّ الدَّهرَ لَيسَ يُصيبُه ... بِالحادِثاتِ فَإِنَّه مَغْرورُ
فَالقَ الزَّمانَ مُهَوِّناً لِخُطوبِه ... وَانْجُرْ حَيْثُ يُحَرِّكُ المَقْدُورُ
وَإِذا تَقَلَّبَتِ الأُمورُ وَلَم تَدم ... فَسَواءٌ المَحزونُ وَالمَسرورُ.[2]

-المرحلة الرابعة: مرحلة رثاء النفس، حين امتد العمر بالغزال نظم أبياتاً مشبعة بالحكمة العميقة والواقعية والإحساس بوطأة الزمن وثقل الشيخوخة قائلاً[3]:

أَلستَ تَرى أَنَّ الزَّمانَ طَواني ... وَبَدَّلَ خَلقي كُلَّه وَبَراني
تَحَيَّفَني عُضواً فَعُضواً فَلَم يَدَع ... سِوى اِسمي صَحيحاً وَحدَه وَلِساني
وَلَو كانَتِ الأَسماءُ يَدخُلُها البِلى ... لَقَد بَلِيَ اسمي لامتِدادِ زَماني.[4]

ب.ديوانه وموضوعاته:

ب.1.مضامين شعره:

شعر يحيى بن حكم الغزال مرآة لمرحلة تحول فارقة في المشهد الأدبي بالأندلس، ويُمثل علامة بارزة في النهضة الشعرية التي اتجهت نحو استيحاء الواقع الأندلسي، متجاوزة حدود التقليد المشرقي، إن المادة والمضامين الشعرية للغزال لم تقتصر على الأغراض المألوفة، بل تشكلت من نسيج من التجارب النفسية والفكرية والاجتماعية والسياسية التيخاضها الشاعر عبر حياته

1إحسان عباس: المرجع السابق، ص 121.
2أحمد هيكل: المرجع السابق،ص 162.
3إحسان عباس: المرجع السابق، ص 113.
4الصوفي خالد:تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر، منشورات جامعة قاريونس، ط2، بنغازي، 1980م، ص 230.

الطويلة، حيث كان هدف الشاعر هو الخروج عن المضامين التقليدية إلى آفاق التجربة الحياتية بكل سعتها.[1]

–المحور الاجتماعي والاقتصادي: شغل الواقع الاجتماعي حيزاً مركزياً في شعر الغزال، إذ ارتبطت مضامينه ارتباطاً وثيقاً بالإطار الاجتماعي لعصره[2]، وقد عكست نصوصه الشعرية ظواهر مجتمعية حساسة، أبرزها التفاوت الطبقي وانعكاسات الحياة الاقتصادية على الأفراد، كما رصد الشاعر بأناة أثر نفوذ الفقهاء وتغلغلهم الاجتماعي[3]والسياسي، وفي سياق النقد الاجتماعي، وذكر أن ابن حبيب كان يأخذ بالرخصة في السماع، وقد عرض به الغزال الشاعر في ذلك فيما أذاه به من شعره وأذى به غيره من الفقهاء.[4]

–المحور السياسي والدبلوماسي:يمتزج شعر الغزال بالمضامين السياسية، وذلك لعلاقته الوثيقة بالبلاط الأموي واضطلاعه بالمهام الدبلوماسية، تناولت الرسالة رصد الظواهر السياسية المعاصرة للغزال، بما في ذلك الصراع مع الفقهاء في عهد الأمير الحكم، وتوثيقه لغارات النورمانيين في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، ولم تكن الدبلوماسية مجرد وظيفة، بل كانت مصدراً إثراء شعرياًفقد عمل الشاعر على تطعيم شعره بالمعارف المستجدة التي اكتسبها من رحلاته وسفاراته، مما وفّر لقصائده زخماً من المعارف الثقافية والجغرافية. [1]

–محور الحكمة والخبرة الذاتية: يشهد النتاج الشعري للغزال على كونه حكيماً بارعاً، حيث لا تخلو قصائده من سداد الفكر المتولد عن خبرة واسعة وطول تمرس بالحياة[5].

1عميض محمد علي الصادق:يحيى بن الحكم الغزال الأندلسي حياته وشعره، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الإسلامية بمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1985–1986، ص 7.

2 نفسه، ص7.

3داية محمد رضوان المرجع السابق، ص ص 12، 13.

4 القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544 هـ):ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، دار مكتبة الفكر، دط، بيروت، طرابلس، 1967 م، ج 3، ص 88.

5الداية محمد رضوان: المرجع السابق، ص ص 13–16.

لقد أتاحت له هذه الخبرة اكتساب بصيرة ناقدة بطبائع الناس وأخلاقهم وسلوكهم، الأمر الذي صاغه في قوالب حكمية عميقة، وفي هذا الصدد لم يغفل الشاعر عن تناول مادته الذاتية وأخبار سيرته، جاعلاً من تجربته الشخصية مادة خصبة للدراسة والتحليل.[1]

ب.2.موضوعاته:

-الغزل:

يُعدّ الغزل هو الغرض الطاغي والأكثر تميزاً في شعر يحيى بن الحكم، وهو سبب لقبه "الغزال"، يتناول هذا الغرض في شعره وصف الجمال والصبابة والوجد والشوق، وتُظهر مقدرته الفنية العالية في التعبير عن المشاعر الرقيقة، تتحدث مقدمة الديوان عن طبيعة غزله وتأثره بالمدارس الشعرية المشرقية.[2]

-المدح والوصف:

خصص الغزال جزءاً من شعره لغرض المدح، حيث مدح الغزال ثلاث أمراء من بني أمية ممن عاصرهم، أولهم الحكم بن هشام وعبدالرحمان بن الحكم ومحمد بن عبد الرحمان بن الحكم، موجهاً قصائده إلى الأمراء والخلفاء الأندلسيين الذين عاصرهم، وذلك بحكم مكانته ودوره الدبلوماسي[3]، كما برع الغزال في فن الوصف، سواء كان وصفاً للطبيعة الخلابة أووصفاً لمجالس الأنس والخمر، ووصف رحلته إلى بلاد النورمان لم تذكر المصادر إلا واحداً منهم وهو يحيى بن حبيب الذي رافقه في رحلاته.[4]

1محمد علي الصادق عميض:المرجع السابق، ص ص 8، 10.

2محمد إسماعيل محمد:الصورة الشعرية عند يحيى الغزال الأندلسي، مجلة التراث العربي، ع 75، أبريل 1999، ص 40.

3رانيا عدلي نور الدين:قرطبة عروس الأندلس، دار عصير الكتاب،ط1، د ب، 2020م، ص51.

4الرفرافي بلقاسم:يحيى بن الحكم الغزال الدبلوماسي المحنك والشاعر المثقف، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، م3، ع2، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019، ص.

-الهجاء والنقد الاجتماعي:

لم يقتصر شعر الغزال على الأغراض التقليدية، بل امتد إلى الهجاء الذي استخدمه كسلاح أدبي ضد خصومه، وأشهرها هجاؤه للموسيقي زرياب[21]، وقد تجاوز هجاؤه أحياناًالجانب الشخصي ليتحول إلى نقد اجتماعي لاذع يكشف عن عيوب المجتمع والطبقات السائدة في الأندلس.[3]

-الحكمة والاعتبار:

تعد الحكمة من الأغراض التي عكست خبرة الغزال الطويلة في الحياة، خاصة بعد سفاراته وتقلباته، فنجد في شعره العديد من النظرات الفلسفية التي تتناول تقلبات الزمان، وطباع البشر، وأهمية العقل، وتظهر عادة في شكل أبيات جامعة للمعاني العميقة، أما الاعتذار فكان غرضاً نادراً ظهر في مناسبات محددة عندما كان يحيى الغزال يقع في مأزق مع الأمراء.[4]

ج.إبداعاته الشعرية:

ج.1.الديوان:

هو عبارة عن أشعار كثيرة ومقتطعات مجموعة جمعه حبيب بن أحمد الشطحيري[5] ، شاعر وأديب أندلسي من أهل قرطبة، أدرك أيام الحكم المستنصر وهو الذي جمع ديوان شعر الغزال ورتبه على الحروف.[6]

[1]زرياب: زرياب مولى الخليفة المهدي ابن الخليفة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور؛ الداية محمد رضوان: المرجع السابق، ص 10.

2الكلبي بن دحية: المصدر السابق، ص 147.

3الداية محمد رضوان: المرجع السابق، ص 10.

4 نفسه، ص ص 12-19.

5الظبي: المصدر السابق،ج1، ص674.

6 الزركلي : المصدر السابق ،ج2، ص165.

إلا أن ديوان الغزال ضاع ولم يعثر إلا على بعض نظمه[1] التي احتوتها بطون المؤلفات القديمة وهي لاتؤلف الديوان كاملا[2]، أما الباقي من ديوان شعره قليل،وهو موجه بحسب الظروف التي سمحت بوجوده في مؤلفات الأندلسيين،وهو يتراوح بين البيت الواحد والقصيدة المطولة.

جـ.2.الأرجوزة:

بالإضافة إلى الديوان، للغزال أرجوزة تاريخية مطولة ورائعة عن فتح الأندلس[3]، وضمّنها أشعاراً تحكي سبب خلع الأندلس وذكر بالتفصيل المعارك التي حدثت خلال الفتح، كما ذكر عدداً من الأمراء الذين تولوا حكم الأندلس، وقد أجاد الغزال في وصفه هذا حيث ذاعت شهرة هذه الأرجوزة بين الناس وقد تأثر بكبار الشعراء كأبي نواس وأبو تمام.[4]

ثانياً.السياق التاريخي لعصر يحيى بن حكم الغزال:

نسعى هنا إلى الحديث عن الإطار التاريخي المتشابك الذي نمت في ظله شخصية يحيى بن حكم الغزال، ومارس من خلاله أدواره المتعددة كشاعر وعالم ودبلوماسي، وسيتم تفكيك هذا الإطار إلى عدة جوانب ، أولها بالسياق السياسي والاجتماعي الحاضن لصعود نخبة ثقافية جديدة، ويركز ثانيها على البيئة الثقافية والفكرية المشكّلة لوعي الغزال والمتلقية لإبداعه، بينما يحلل ثالثاً العوامل المحددة لاختياره كممثل رسمي للدولة وطبيعة علاقته المتشابكة مع المؤسسة الدينية وعلمائها، ويأتي هذا التقسيم بهدف تقديم رؤية شاملة للتفاعل بين مسيرة الفرد الاستثنائية، والتحولات الجوهرية التي شهدها عصره على المستويات كافة.

1.الجانب السياسي و الاجتماعي من عصر يحيى بن الحكم الغزال:

تعد فترات حكم الأمير عبد الرحمان الثاني من أزهى فترات عصر الإمارة وأكثرها ازدهارا سياسيا واجتماعيا، وبفضل جهوده تمكن من القضاء على النزاعات وإخماد الثورات والفتن التي واجهته في بداية مرحلة حكمه[5]، (انظر الملحق رقم 02 ص76) من خلال إستراتيجية متكاملة جمعت

1الظبي: المصدر السابق، ص674.

2محمد رضوان الداية:المرجع السابق، ص19.

3الرفرافي بلقاسم:المرجع السابق، ص 72.

4حسين مؤنس:تاريخ الفكر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، دط، القاهرة، دت، ص 56.

5 ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج1 ، ص46 .

بين القوة العسكرية المباشرة و المرونة السياسية التي تجلت بعقد الصلح مع بعض الثوار ، وقد أسفر هذا الاستقرار الداخلي عن تحولات اجتماعية تمثلت في تراجع دور القبائل والعصبيات التقليدية [1]، ففور توليه الحكم سعى إلى انتهاج سياسة جديدة تقوم على التسامح واحترام الرعية ، و الاستجابة لمطالبهم ، وذلك لضرورة تحصين الجبهة الداخلية للدولة[2] ، حيث شكل عهده مرحلة حاسمة في تاريخ الدولة الأموية، وانتقلت لمرحلة الصراع الداخلي والتجزئة إلى مرحلة الوحدة السياسية و الاستقرار[3]، وازدهرت ميادين الزراعة والتجارة وانعكس هذا الرخاء على طبقات المجتمع المختلفة ، وقد عرفت تلك الأيام بأيام العروس [4].

فقد كانت بداية عصر الإمارة بمثابة مرحلة انتقال في حياة المجتمع الأندلسي الذي كان يضم عناصر مجتمعية متفرقة تفصل بينهم حدود الجنس و التقاليد واللغة ، وإن ربطت بين بعضها روابط الدين وجمعتها رقعة واحدة ففي هذه المرحلة بدأت تذوب تلك الفوارق بين هذه العناصر، وفي هذا الإطار بدأت تنشأ صور التفاعل و الامتزاج بين عناصر المجتمع . [5]

وهذا الانتقال الواسع تجلى من خلال ظواهر اجتماعية ، سواء تعلقت بناحية الامتزاج العرقي والتكاثر البشري، أو اتصالها بالنواحي الدينية والاقتصادية والثقافية ، وفي سياق الحديث عن جوانب الحياة التي أصبح يعيشها المجتمع الأندلسي في فترة عصر الإمارة وهو ما يتيح لنا معرفة أكثر لمختلف العوامل الاجتماعية التي أثرت في حياة الغزال وشعره[6] ، وفي هذا العصر عاش

1عبد الباسط قير وأحمد عريبي: النشاط الدبلوماسي للإمارة الأموية خلال فترة الأمير عبدالرحمن الثاني (سفارة يحي بن الحكم الغزال إلى مملكة النورمان أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة يحيى فارس، المدية،(2024/2023)،ص11.

2ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص46 .

3 محمد علي الصادق عميض : المرجع السابق ، ص26 .

4 ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ص46 .

5 عميض محمد علي الصادق: المرجع السابق ، ص26.

6محمد علي الصادق عميض : المرجع السابق ، ص39.

2 آنخل جنثا بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تر:حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، دت، ص603 .

يحيى الغزال ، وربما استمد شخصيته وملامحه من تلك المؤشرات والتفاعلات المتعددة التي حضت بها الحياة الاجتماعية .[1]

ويمكن الإشارة إلى التركيب الذي ميز بناء المجتمع الأندلسي ، فقد تكون من عدة عناصر متعددة منها : العرب القيسيون ، واليمانيون ، الذين شكلوا النخبة الحاكمة و العسكرية ، والمولدون (الإسبان المتحولون للإسلام)، الذين أصبحوا يمثلون أغلبية السكان والموالي (المعتقون) الذين برزوا في المجالات العلمية و الإدارية و المستعربون (المسيحيون الناطقون بالعربية) ، الذين عملوا في الترجمة والإدارة المحلية و اليهود الذين برعوا في الطب و التجارة[2]، فقد أصبحوا يشكلون طبقة لها مكانتها ووزنها في الحياة الاجتماعية ، فلم يلبثوا خلال عصر الإمارة أن اشتهر منهم كبار الموظفين في الدولة [3] ، فكان منهم الوزراء و القواد .[4]

وقد خلق هذا التنوع الاجتماعي بيئة حضرية ساهمت في إثراء الحياة الفكرية والاقتصادية، ورافق هذا التحول الاجتماعي إعادة تنظيم أجهزة الدولة، حيث أدخل عبد الرحمن الثاني نظام الدواوين المتكامل على النمط العباسي، فأنشأ ديوان الجيش الذي نظم شؤون العطاء والرواتب، وديوان الخراج الذي أشرف على موارد الدولة المالية، وديوان الرسائل الذي تولى صياغة المراسلات الداخلية والخارجية، وقد فرضت هذه التنظيمات معايير جديدة لتولي المناصب الإدارية الرفيعة، كالمعرفة اللغوية، والدراية بالشؤون السياسية، والإلمام بعلوم الحساب والفلك .[5]

وانعكس هذا على العمل الدبلوماسي، حيث وضعت معايير دقيقة لتحديد من يمثل الدولة في المهام الخارجية وذلك باختيار السفراء وتدريبهم لدراسة الدولة المضيفة (تاريخها، نظام حكمها، ثقافتها، لغتها)، وكتابة الرسائل الرسمية بأسلوب يجمع بين الفصاحة العربية الأصيلة والأهداف

3 محمد علي الصادق عميض : المرجع السابق ، ص39-40.

4 أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضاراتها ، ط2 ، 1972 ، ص108.

5. ابن حيان : المقتبس ، تح : علي المكي ، ص25 .

6 محمد علي الصادق عميض : المرجع السابق ، ص50.

السياسية الواضحة، وانتقاء هدايا ثمينة ومتنوعة تعكس مكانة الأندلس الحضارية والاقتصادية (المنسوجات الذهبية الفاخرة والمجوهرات والأسلحة المزينة والحيوانات النادرة والعطور الثمينة)[1] .

وقد تجلى هذا التحول السياسي في تحول الدبلوماسية من أداة عابرة إلى سياسة تستهدف تأمين الحدود وبناء تحالفات ، وخلق اتصال ثقافي تجاري مع القوى المسيحية المجاورة [2] ، وفي هذه الأثناء برزت شخصية يحيى بن الحكم الغزال (156-250هـ/ 773-864م) كأحد أبرز التجسيدات العملية لهذه السياسة الجديدة ، فهو النموذج المتكامل للعالم والشاعر المبدع والدبلوماسي المحنك الذي استطاع بثقافته الواسعة وحكمته السياسية أن يترجم أهداف الدولة إلى واقع ملموس في أرقى البلاطات الأوربية المعاصرة ، ويعد الغزال بذلك رائدا من رواد الدبلوماسية، حيث مثل بلاط قرطبة في مهمتين تاريخيتين إلى القسطنطينية ومملكة النورمان ، وهو ما سنتطرق إليه في الفصل الموالي ، تاركا وراءه تراثا أدبيا وسياسيا يعكس مكانة وهيبة الأندلس .[3]

وفي قلب هذا المشهد الاجتماعي و الإداري الجديد أصبحت هناك علاقة بين الحاكم والمثقف، فقد تجاوز فيها دور الغزال كشاعر مداح تقليدي إلى مرتبة الشريك الفكري والسياسي ، فقد حظي الغزال بمكانة رفيعة في بلاط الأمير وكان من خاصته ومستشاره.[4]

وقد تجلت هذه الثقة الشخصية العميقة في تكليف الغزال بقيادة السفارتين التاريخيتين الخطيرتين سالفتي الذكر ، وهما مهمتان لم يكن ليوكل بهما إلا لمن يمتلك الولاء المطلق و الكفاءة النادرة و الشجاعة الأدبية ، و كانت هذه العلاقة تعبيرا عن تحالف تاريخي بين السلطة السياسية و النخبة الثقافية في البناء الحضاري للدولة الأموية في الأندلس .[5]

1 محمد رضوان الداية: المرجع السابق، ص ص 9- 10 .

2. عبد الباسط قير وأحمد عريبي: المرجع السابق، ص 12.

3 محمد رضوان الداية: المرجع السابق، ص 10-17.

4 البنداق محمد صالح: المرجع السابق، ص31.

5 محمد رضوان الداية: المرجع السابق، ص ص 15، 16.

2.الجانب الثقافي والحضاري في عصره وأثره:

أفرز الاستقرار السياسي و التحول الاجتماعي في قرطبة تطورا ثقافيا وفكريا، حول العاصمة الأموية إلى واحدة مناهم المراكز الحضارية في العالم الإسلامي خلال القرن 3هـ/9م ، فعند وصوله إلى السلطة لعب دورا كبيرا في ازدهار البلاد في مختلف المجالات خصوصا الجانب الثقافي والحضاري ، وذلك من خلال اهتمامه الكبير بهما من خلال تشجيع رجال العلم والأدب وحركة البناء و التشييد لجعل الأندلس منارة علمية تضاهي بغداد عاصمة الدولة العباسية .

لقد كان الأمير عبد الرحمان الأوسط مولعا بالنواحي الثقافية كالشعر و الفلسفة والفلك، إلى جانب العلوم الشرعية و اللغوية التي كانت من أسس الثقافة في ذلك العصر، فقد كان عالما في الشريعة وفي نفس الوقت أديبا وشاعرا وذا معرفة بالفلسفة والفلك ، وإن حبه للعلم دفعه إلى الاهتمام بالعلماء ورفعهم إلى أعلى المناصب [1]، ولم يقتصر التعليم على النخبة الحاكمة، بل انتشر في أروقة جامع قرطبة الكبير، حيث ازدانت حلقات العلم بالمحدثين والفقهاء واللغويين، وتنافس الأعيان والأثرياء على رعاية العلماء وإقامة المجالس الخاصة في بيوتهم، امتد ذلك إلى طبقات التجار والصناع الميسورين [2] .

وقد كانت للحركة الثقافية الأندلسية في بدايتها موجهة اهتمامها إلى العلوم الدينية للحاجة الماسة إليها في الحياة الإسلامية وعلى رأسها علم الفقه ، أما العلوم الأخرى فإن ظهورها كان متأخرا باستثناء العلوم اللغوية والأدبية فانه كان ينظر إليها على أنها من متممات الثقافة الدينية، لذلك فقد وجد في عصر الإمارة من يأخذ بحظ وافر منها ، وفن الشعر لم يكن يستقطب إلا نسبة محدودة من المثقفين ربما لا تتجاوز طبقة الأمويين في الأندلس أو بعض العرب [3]، لكن سرعان ما أصبحت الحياة تعج بالمثقفين فزاد الإقبال على الشعر وظهرت فنون جديدة كالموسيقى و التاريخ و الفلك و الطب و الحساب و الفلسفة ، فنمت شجرة الثقافة الأندلسية و تطورت فروعها.

1 محمد علي الصادق غميض : المرجع السابق ، ص 278 .

2 نفسه، ص ص 63 –64.

3 نفسه، ص 54.

وفي هذه البيئة تشكلت شخصية الغزال الفكرية التي جمعت بين التخصص الدقيق في علم الفلك بالرياضيات والحساب والهندسة ، وعلوم النحو والبلاغة والعروض، والإبداع الشعري الذي جعله في مصاف كبار شعراء زمنه[1] ، وقد كانت هذه المعرفة العلمية وقد كانت هذه المعرفة العلمية عاملاً أساسيا في تأهيله للمهام الدبلوماسية الشاقة، ومكنته من إجراء حوارات علمية مع نظرائه من علماء الفلك والرياضيات في بلاط بيزنطة، مما رفع من هيبة المبعوث والدولة على حد سواء [2]، وهو ممن رحلوا إلى المشرق وأفادوا منه علما وأدبا[3] ، كما نجد أن للأمير عبد الرحمان الثاني في مجال الشعر كانت مواقف تكشف عن شدة تعلقه بهذا الفن ومدى تقديره لأصحابه وكان يصطفي خيرة الشعراء عصره ليجعلهم من خاصته وصفوة جلسائه ، ومن أقرب الشعراء إليه أكثرهم ملازمة له[4] نجد الشاعر يحيى بن الحكم الغزال الذي اسند إليه مهمة السفارات إلى القسطنطينية وبلاد النرمان دون غيره .[5]

وتأثر الأدب في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري بالمشرق الإسلامي، حيث نقل الوافدون من بغداد وسامراء والمغرب الكتب والأساليب الشعرية الجديدة [6]، ويظهر تأثر الغزال بوضوح بشعر أبي نواس في جرأة التصوير وطرافة المعاني، وتأثره بأبي تمام في استخدام الرموز والألغاز الشعرية ، بإضافات أندلسية جمعت بين متانة الأسلوب المشرقي والمحلي.[7]

وقد اندمج الغزال في هذا التنوع الثقافي، فكان يرتاد حلقات الفقهاء والمحدثين في المسجد الجامع، ويناقش علماء الفلك والرياضيات في قصورهم الخاصة، ويجالس الأدباء والشعراء، مما أكسبه اعترافاً متبادلاً من مختلف هذه الأوساط .[8]

---

1 محمد رضوان الداية ، ديوان يحيى بن الحكم الغزال ، المرجع السابق ، ص ص 05-10.

2 نفسه ، ص10.

3 شوقي الضيف ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف، ط1 ، مصر ، 1995 ، ج8 ، ص 230.

4 ابن حيان ، السفر الثاني ، ص 350.

5 نفسه ، ص ص 298-299.

6 محمد علي الصادق غميض : المرجع السابق ، ص ص 76-77.

7 بلقاسم الرفرافي ، المرجع السابق ، ص 206.

8 البنداق: المرجع السابق، ص33.

ولعل الأثر الأعمق لرحلاته الدبلوماسية تمثل في توسيع الأفق الجغرافي والإنساني لشعره، حيث قدم وصفاً مبكراً للآخر البيزنطي والنورماني لا بوصفه عدواً فحسب، بل كشعب له عاداته وثقافته ونظامه الاجتماعي، مما أضفى على الشعر الأندلسي نزعة إنسانية عالمية نادرة في ذلك الوقت، وجعله يتجاوز حدود الصراع الديني إلى فضاء الحوار الحضاري.

لقد ترك الغزال تأثيره الواضح على الأجيال الشعرية اللاحقة، حيث نجد صدى أسلوبه الوصفي الحكائي في شعر ابن عبد ربه [1]، وهكذا ساهم الازدهار السياسي في إيجاد عدد من الروافد كانت بمثابة قنوات تصب جميعها في مجرى الحركة الشعرية ، فشجع الأمير هذه الحركة واحتضن أبرز أعمالها ، حيث توجد المجالس الأدبية في قصره ، وتوثيق الصلاة بين الشعراء و المغنيين ، وهو ما مثل دفعة جديدة لمسيرة الشعر في هذا العصر[2].

أما من الناحية الحضارية فقد شهدت الأندلس في عهد عبد الرحمان الأوسط نقلة نوعية، فقد اهتم اهتماما كبيرا بالعمران بداية بالمنشات العامة ، فزاد في مسجد قرطبة الجامع ولا يزال هذا الجامع قائما إلى يومنا هذا ، وحول إلى كنيسة في القرن السادس عشر، وعلى الرغم من إزالة معظم زخارفه الإسلامية لتحل محلها الزخارف النصرانية .

كما اهتم بالناحية المعمارية فأنشأ القصور والمنتزهات ، وجلب إليها المياه من الجبال ، وجعل في قصره حوضا يجتمع فيه ماء المطر ، وأقام الجسور وعبد الطرق [3] ، وبناء المساجد، وإقامة الأسوار وتزيين المدن بالأرصفة والحدائق العامة ، وقد كانت قرطبة تمثل النموذج المثالي لذلك المجد الذي ازدهرت به الحضارة الأندلسية في هذا العهد ، إلى جانب اهتمامه بالعمران[4].

1محمد رضوان الداية ، ديوان يحيى بن الحكم الغزال ، المرجع السابق ، ص19.

2محمد علي الصادق غميض : المرجع السابق ، ص30

عبد الباسط قير وأحمد عريبي: المرجع السابق،3.19

4 جودة هلال ومحمود صبح : قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية للكتاب، طبعة الاسكندرية1، 1973م، ص 291.

3.أسباب اختيار الغزال سفيراً وطبيعة علاقته مع فقهاء عصره:

تتعدد العوامل والشروط التي أهلت يحيى بن الحكم الغزال، وجعلت منه المرشح الأمثل والأوحد لتولي مهمتين دبلوماسيتين بالغتي الخطورة والتعقيد إلى أقوى قوتين في أوروبا المسيحية خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري: بيزنطة والنورمان.

دهاء الغزال وخبرته الدبلوماسية فقد ساهم نسبه الشريف في تأهيله إلى هذه المهمة، فقد اهتمت الدولة بأن يكون سفراءها من أصحاب الأصل العريق حتى تصبح السفارة أكثر مهابة وجلالا،[1] بالإضافة لمواصفات شخصية وعلمية فريدة جمعها في شخصه، فهو العالم الفلكي المطلع على علوم النجوم والحساب، والتي أهلته ليكون سفيرا لبلاط قرطبة[2] .

إضافة إلى إتقان الغزال فن التعامل مع الملوك والسفراء، وحفظه لكثير من فنون الأدب ونصوصه، وقدرته العالية في التعبير وحسن الكلام والخطابة،[3] التي اعتبرت وظيفة أساسية في المسجد وارتبطت بالسفارة لتأثيرها على الآخرين،[4] إلى جانب ذلك ماتمتع به الغزال من مواهب خلقية كونه شاعر قدير، خفيف الروح، اشتهرت أشعاره وذاع صيته، و اشتهر بالنزاهة في جميع المناصب التي تقدمها، كل هذه الصفات ساهمت في اختياره سفيرا للإمارة الأموية.[5]

كذلك العلاقة الاستثنائية والثقة المطلقة مع مصدر السلطة، فقد كانت الصداقة الحميمة والثقة الشخصية العميقة التي حظي بها لدى الأمير عبد الرحمن الثاني، والتي تجاوزت إطار العلاقة الرسمية بين الحاكم والشاعر، ضمانة لولائه المطلق وفسحت له مجالاً واسعاً للمناورة واتخاذ القرارات المناسبة في المواقف الحرجة. [6]

البراعة الدبلوماسية والحكمة العملية والخبرة الميدانية التي أظهرها في التعامل مع المواقف المعقدة والحساسة، وأبرز أمثلتها موقفه المشهور في بلاط بيزنطة عندما رفض شرب الخمر في

1العدوي إبراهيم: الدولة الإسلامية إمبراطورية الروم، دار رياض الصالحين، ط1، مصر، 1994، ص248.

2إحسان عباس: تاريخ الأندلس عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1969، ص164.

3إبراهيم محمد آل مصطفى: المرجع السابق، ص114.

4 عبد الباسط قير وأحمد عريبي: المرجع السابق، ص48.

5إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص240.

6قير عبد الباسط وأحمد عريبي: المرجع السابق، ص ص 60-65.

حفلة الاستقبال الرسمية قائلاً: "إن ديننا يحرم هذا، ولا يسعنا إلا الامتثال لأمر الله، ونحن مع هذا نقدر كرم ضيافتكم"، حيث حمى ثوابت دينه وكرامة دولته دون جرح مشاعر مضيفيه أو الإساءة إلى بروتوكول البلاط، بل حول الموقف إلى فرصة لإظهار ثقافة الالتزام والأدب الرفيع[1].

الشجاعة الأدبية والاستعداد لتقبل المخاطرة وتحمل المشاق، وهو ما أثبته في رحلته الملحمية إلى بلاد النورمان التي استمرت عشرين شهراً (228-230هـ/ 843-845م)، ووصف أهوالها البحرية والمخاطر المجهولة بقوله: "كانت تتقلب بنا السفن وتغرق، ويلفظنا البحر إلى قعر ظلماته"[2]، وهكذا لم يكن اختيار الغزال اعتباطياً أو محاباة، بل كان نتاج تقاطع حاجة الدولة الاستراتيجية إلى سفير يجسد مشروعها الحضاري ويعبر عنهويتها الثقافية، مع توفر المؤهلات النادرة والكفاءات المتميزة التي جعلته قادراً على تنفيذ هذه المهمة بامتياز ونجاح. [3]

أما علاقته المعقدة والمتعددة الأوجه مع فقهاء وعلماء الدين في قرطبة، وجد في الأندلس كثير من العلماء من يستلطفون الغزال ليس لأنه من كبار شعراء الأندلس فحسب، بل كان استلطافهم خوفا من هجائه، في حين نبذه آخرون لسوء فعله واتهموه بالزندقة، وللغزال حادثة شهيرة حيث أراد محاكاة القرآن، فتحدى الفقهاء أن يأتي بكلام يضاهي كلام الله تعالى ويعارض في نفس الوقت سورة الإخلاص، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[4]، وعكف على ذلك مدة أربعين يوما بدون جدوى، و اعترف في الأخير أن القرآن غير مخلوق[5].

كما كانت للغزال حادثة أخرى دلت على مدى معرفته باللغة وفنون الشعر، حيث كان قاضي الجزيرة الخضراء عباس بن ناصح الثقفي يذهب إلى قرطبة فيأخذ من علمائها، ففي إحدى حلقاته حضر الغزال وسمع عنه بيتا من الشعر فصحح له خطأ في البيت الشعري.[6]

1المقري: المصدر السابق، ص ص 300-305.

2الداية: المرجع السابق، ص ص 56-60.

3رفرافي بلقاسم: المرجع السابق، ص ص 210-215.

[4] سورة الإخلاص، الآية1.

5رانيا عدلي نور الدين: المرجع السابق، ص ص52-55.

6قير عبد الباسط و أحمد عريبي: المرجع السابق، ص48.

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق عرضه ومناقشته في هذا الفصل اتضحت لنا جملة من النتائج أهمها:

-إن يحيى بن الحكم الغزال لم يكن مجرد شاعر أو سفير، بل شخصية ثقافية وسياسية جسدت نضج الأندلس وتحولها الحضاري، فجمع بين الأدب والدبلوماسية والانفتاح على العالم.

-لقد مرّ الغزال بتحول شخصي من حياة الشباب واللهو إلى الحكمة والزهد، بالتوازي مع تحول قرطبة إلى مركز حضاري وثقافي بارز، مما جعله صورة معبرة عن عصره.

-في المجال الدبلوماسي جمع الغزال بين العلم والبلاغة والحنكة السياسية، ونجح في تمثيل قرطبة أمام ملوك النورمان وبيزنطة بالحوار والثقة الحضارية.

-أما من الناحية الأدبية فقد أسهم يحيى الغزال في بناء خصوصية الأدب الأندلسي، إذ تأثر بالمدرسة العباسية وصاغ تجربة شعرية مميزة عبّرت عن البيئة الأندلسية وجمالها وحب الوطن.

-أخيرًا يبقى الغزال نموذجاً لرجل جمع بين الفكر والسياسة والأدب، وترك أثراً بارزاً في التاريخ الأندلسي، مقدماً درساً في الحكمة والانفتاح والحوار.

الفصل الثالث: النشاط الدبلوماسي ليحيى بن الحكم الغزال.

أولاً: سفارات يحيى بن الحكم الغزال.

ثانيًا: خصائص وأثر نشاطه الدبلوماسي.

مدخل:

تعد سفارات يحي بن الحكم الغزال من أبرز مظاهر النشاط الدبلوماسي في العصر الأموي بالأندلس، حيث جسدت حنكته السياسية وقدرته على تمثيل الدولة خارج حدودها .

وقد تميزت رحلاته إلى بلاد النورمان والبلاد البيزنطية بأبعاد سياسية وحضارية مهمة، إذ سعت الى توطيد العلاقات الخارجية وتعزيز مكانة الدولة الأموية في الساحة الدولية، ومن خلال هذه السفارات برز دور الغزال كسفير بارع جمع بين الفصاحة والذكاء، مما مكنه من أداء مهامه بكفاءة وتحقيق أهداف دبلوماسية ذات أثر واضح.

أولًا. سفارات يحي بن الحكم الغزال:

1.السفارة إلى الإمبراطورية البيزنطية:

أ.خلفية السفارة:

أ.1. نشأة الإمبراطورية البيزنطية:

بلغت الامبراطورية الرومانية الذروة في القرن الثاني الميلادي، عندما أصبح البحر المتوسط بحيرة رومانية[1] في سياق أزمة عميقة عرفتها الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الثالث [2] ‘تمثل في عدم الاستقرار السياسي وكثرة الهجمات الجرمانية والفارسية الي جانب أزمة دينية أضعفت تماسك المجتمع[3]، ولم تكن الدولة البيزنطية إلا امتدادا للإمبراطورية الرومانية وأن التاريخ البيزنطي ليس إلا مرحلة جديدة من التاريخ الروماني.

[1] حسين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية ، دط، القاهرة ،1983م، ص12.

2 عمر كمال توفيق : الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبين، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الاسكندرية، دت، ص9.

3 محمد ربيع: المرجع السابق، ص12.

في هذه الأثناء تولى دقلديانوس الحكم (284-305م)[1] فرأى استحالة إدارة إمبراطورية شاسعة من قبل حاكم واحد فاتخذ مدينة نيقوميديا عاصمة للإمبراطورية الرومانية (تقع في الشمال الغربي لآسيا الصغرى على بحر مرمرة)[2]، فقام بإصلاحات إدارية أبرزها تقسييم الإمبراطورية إلى قسمين شرقي وغربي[3]، ويحكم كل قسم إمبراطور ولكل إمبراطور قيصر يساعده ويكون وريثه بعد موته [4]، ثم تقسيمها إلى أربعة أقاليم حيث يتقاسم السلطة إمبراطوران و(أوغسطسان) فاختار ماكسيمان[5] (286-305م) شريكا له في الحكم [6].

وباعتزال الإمبراطور دقلديانوس عن حكم الإمبراطورية الرومانية وكذا ماكسيمان عن الحكم[7]، نشبت حروب أهلية أدت إلى تدهور الأوضاع آنذاك، واستمرت الاضطرابات السياسية في الإمبراطورية الرومانية رغم محاولات الاستقرار[8].

1 دقلديانوس :هو إمبراطور الامبراطورية الرومانية منذ سنة 284م ينتمى في الأصل إلى صفوف طبقة اجتماعية فقيرة في إقليم دالمتيا وأصبح قائدا للحرس الإمبراطوري فهو كان أحد جنود أباطرة إقليم البيريا الذين وصلوا إلى السلطة الإمبراطورية بعد وفاته سنة 268م؛ أحمد غانم حافظ : الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، دط، الاسكندرية ،2007م ، ص81.

2 عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية، دار المعرفة، دط، د ب،1967 م، ص ص 23-24 .

3 سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية، دط، بيروت ،1976 م، ص ص 19-20.

4 طه خضر عبيد : تاريخ الدولة البيزنطية 324-1453م ،دار الفكر ، دط ،عمان، الأردن ،2010م ، ص21.

5 ماكسيمان :هو شريك دقلديانوس في الحكم كان أميا لا علم له بالقوانين، ساذج المظهر والسلوك بارعا في الحرب اشتهر بمواهبه العسكرية على حدود الامبراطورية ؛ ادوارد جيبون: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، تر:محمد علي أبودرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، د ب،1997م ، ج1، ص207.

6 سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 21.

7 محمود سعيد عمران : معالم التاريخ الامبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي الحربي)، دار المعرفة الجامعية، دط، د ب، 2000م ، ص21.

8 حافظ أحمد غانم: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، دط، الإسكندرية، 2007م، ص 94.

لقد توالى على حكمها عدد من الأباطرة، وفي سنة306م في ظل ضعف الإمبراطورية استمر الصراع حول الحكم بين قسطنطين وابن قسطنطنيوس (ابن غير شرعي من عشيقته هيلينا)[1] ومكسينيوس ابن لماكسيميان[2]، وفي سنة 312 م انتصر قسطنطين في معركة جسر ميافيان وأصبح حاكم للغرب[3].

وفي سنة (312-324م) تقاسم الحكم مع ليكينيوس ثم قضى عليه سنة 324م ووحد الإمبراطورية[4]، وفي هذه الأثناء مهد لتأسيس الدولة البيزنطية[5]، واعتمد المسيحية كدين رسمي وعرفت الامبراطورية نوعا من الاستقرار النسبي[6]، إلا أن الانقسام عاد بعد وفاته نتيجة تقاسم أبنائه الحكم[7] (قسطنطين الثاني، قسطنطين ، وقسطنطنيوس الثاني) مما أدى إلى بروز خلافات، لينفرد بعد ذلك قنطانيوس الثاني بالسلطة[8].

1 الناصري أحمد علي: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ، دار النهضة العربية، ط2 ، القاهرة ،1991م، ص428.

2 محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ص 21-28.

3 نفسه، ص22.

4 نورمان فاكتور: العصور الوسطى الباكرة القرن الثالث /القرن الرابع، تر: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، دط، الاسكندرية، د ت، ص64.

5 طه خيضر عبيد: المرجع السابق، ص21.

6 الشيخ محمد مرسى: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية، دط، الاسكندرية، 1994م، ص10.

7 أسيد رستم: الروم في سياستهم وحضاراتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب، دار المكشوف، د ب، 2018م، ص74.

8 عبد القادر أحمد يوسف : الإمبراطورية البيزنطية ، منشورات المكتبة العصرية، دط، بيروت، 1966م، ص12.

وفي (361-363م) تولى جوليان الحكم وحاول إحياء الوثنية، فقتل في حربه ضد الفرس[1]، ومن بعده جوفيان[2]، ومن بعده فالنز لتأتي بعده أسرة ثيودوسيوس[3]، أما خلال القرون الممتدة من الرابع إلى التاسع، فقد تعاقب على الحكم عدد من الحكام دون تغيرات جوهرية تذكر.

وفي النصف الأول من القرن التاسع، حكم (ثيوفيليوس[4] 829-842م)[5] الذي شهدت فترة حكمه صراعات مستمرة مع الدولة العباسية، خاصة على الحدود الشرقية، وعرف بإرسال واستقبال السفارات من أشهرها سفارته إلى الدولة الأموية في الأندلس واستقبال السفير يحيى بن الحكم الغزال.

أ.2. سفارة ثيوفيليوس لعبد الرحمان الأوسط ورده عليها :

حسب المصادر التاريخية فقد تأخر الاتصال الأموي البيزنطي في عصر الإمارة قرابة القرن على قيام الدولة الأموية بالأندلس، وعدم وجود أي فكرة للاتصال في المجال الدبلوماسي[6]، إلا أن المصادر الإسلامية اتفقت على بداية الاتصال بين الأمويين في الأندلس، والبيزنطيين في سنة 225هـ/839م، بقدوم أول سفارة بيزنطية إلى الأندلس الأموية بزعامة ترجمان البلاط البيزنطي قراطيوس kratius [7]، الأمر الملاحظ أن بدء السفارات كانت بمبادرة من الطرف البيزنطي، المعروف أنه منذ أن ظهر الإسلام وهم في عداء مع الدول الحاملة للوائه، فلابد من تقديم الخلفيات والأسباب الحقيقية التي دفعت بهم إلى ذلك.

---

1 محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، ص 27.

2 نفسه، ص28.

3 طه خضر عميد : المرجع السابق، ص32.

4 ثيوفيليس : (214-227هـ/829-842م) : ابن ميخائيل الثاني (820-829م) أو ثيوفيل يسميه الطبري توفيل صاحب الروم؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، 1975، ج2، ص 629.

5 محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، ص163.

6 سليمان الرحيلي: المرجع السابق، ص 193.

7 نفسه، ص140.

عانت الدولة العباسية من مخاطر خارجية وحركات داخلية كحركة بابك الخزمي[1]، التي شكلت خطرا على استقرار الدولة لسرعة انتشارها وتلقيها الدعم من الإمبراطورية البيزنطية، وبعد مواجهات عديدة استطاع القائد العباسي الأفشين حيدر بن كاوس[2] الاستيلاء على مدينة البُد[3]، وتمكن بابك من الفرار إلى إحدى قرى أرمينية، ليتم القبض عليه من قبل سكانها وإعدامه بأمر من الخليفة المعتصم في سامراء[4].

في حين وصلت إلى مسامع الخليفة أنباء أن بابك قد راسل الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس لتحريضه على الهجوم على العباسيين والاعتداء على المسلمين، مستغلا بذلك انشغال الجيش العباسي بمحاربة بابك، فدخل مدينة زَبطَرة[5] بالسيف، فقتل الأطفال وسبى النساء، وأغار على مدينة ملطية وحاصر شمشاط، فقام الخليفة بإرسال قوات النجدة مع تجنب الصدام بالبيزنطيين حتى يجهز الجيش ويلحق بهم[6].

وفي صبيحة العشرين من شهر شعبان عام 223هـ/837م، وقعت المعركة التي انهزم فيها البيزنطيين شر هزيمة على يد قائد الجيوش الإسلامية الأفشين، وبعد هذا النصر توجه المسلمون إلى مدينة عمورية، التي تبعد عن أنقرة مسيرة سبع مراحل، فقاموا بفتحها بعد حصار دام خمسًا

---

1 بابك الخرمي : جاء في أغلب المصادر بأنه من ولد مظهر بن فاطمة الخزمية بنت أبي مسلم لا إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدأت تحركاته في أواخر عهد الخليفة المأمون مشعلا الاضطرابات والفتن؛ الدينوري: الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دط، الإسكندرية، د ت، ص402.

2 الأفشين: هو حيدر بن كاوس ولقبه الأفشين، من قادة الجيش التركي في عهد الخليفة المعتصم بالله، وأصله من مدينة شروسنة، بلغ مكانة متميزة وخاصة في حربه لبابك الخرمي وفي حملة عمورية، قتله المعتصم بالله بعد أن تبين له أنه تآمر ضد الخلافة العباسية؛ الطبري: المصدر السابق، ج9، ص31.

3 البُدّ: بلد في جبال البد من أرض اللان وهي بلاد بابك وبه يعرف هذا الموضع؛ الطبري : المصدر السابق ، ج 9 ، ص44.

4 طارق فتحي بن سلطان : معركة عمورية في العلاقة بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية (223هـ/838م)، مجلة جامعة الإمام، كلية التربية، جامعة الموصل، ع3، 2006م، ص49.

5 زبطرة : بتكسير الزاي ، وفتح ثانيه وسكون الطاء المهملة راء مهملو ، مدينة بين ماطية وسمياط والحدث في أطراف بلاد الروم؛ طارق بن فتحي بن سلطان: المرجع السابق، ص51.

6 نفسه، ص ص 49-57.

وخمسين يوما[1]، وباشتداد الغارات العباسية على الحدود الجنوبية للدولة البيزنطية التي بلغت ذروتها في عهد الخليفة المعتصم الذي خاض بنفسه موقعة عمورية [2]، فعم الرعب في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية[3]، فسارع ثيوفيلوس إلى الاستنجاد بالأمم النصرانية في الغرب، وحاول عقد مصاهرات معهم لتعزيز التحالف، لكن كل محاولاته فشلت، بل تعدى ذلك للاستعانة بقوة إسلامية تناصب العباسيين العداء وهي الدولة الأموية في الأندلس، فحاول استمالتهم وعقد حلف معهم ضد العباسيين[4].

بالإضافة إلى الخطر العباسي نجد الأغالبة قد أحكموا سيطرتهم على صقلية أيضا، وجزيرة كريت خضعت للسيطرة الإسلامية من قبل الربضيين القادمين من الأندلس[5]، ومما سبق يتضح أن هاذه الظروف حتمت على الإمبراطور البحث عن خلف لحماية ما تبقى مملكته، وهو ماورد في رسالة الإمبراطور البيزنطي إلى الأمير الأموي بالأندلس .

وهذا مايؤكد حدوث اتصالات بين إمارة الأمويين في الأندلس وبيزنطة، وكانت المبادرة من الطرف البيزنطي كما يذكر ابن خلدون أن هذه الاتصالات أعلت شأن الامويين لدى العباسيين[6].

عندما أرسل الإمبراطور ثيوفيلوس سفيرا إلى عبد الرحمن الأوسط[7]، لم تشر المصادر إلى كيفية استقبال الأمير الأموي المبعوثين من طرف الإمبراطور البيزنطي، ولم تذكر الهيئة التي قابلهم بها ومن الذي حضر هذه المقابلة، واكتفت بذكر البعثة البيزنطية المكونة من شخصين

---

[1] طارق بن فتحي بن سلطان: المرجع السابق، ص ص65-77.

[2] الطبري : المصدر السابق، ج9، ص ص 14-18.

[3] نفسه، ج6، ص ص 130-131.

[4] فازليف: العرب والروم، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، مر: فؤاد حسين علي ، دار الفكر العربي، دط، بيروت ، د ت، ص312.

[5] العبادي أحمد مختار : المرجع السابق، ص151.

6 ابن خلدون :المصدر السابق، ج4، ص 166.

7 الرحيلي سليمان: المرجع السابق، ص139 .

تزعمها قراطيوس، وأنهم أثناء مقابلة الأمير قدموا له هدية قيمة بعث بها الإمبراطور مع رسالة ودية[1] .

ورغم أن المصادر لم تذكر محتوى هاته الرسالة، إلا أن المؤرخ سالم بن عبد الله خلف قد أورد مافيها انطلاقا من رد الأمير عبد الرحمان[2]، وأهم ما جاء فيها أن الإمبراطور ثيوفيلوس يطلب فيها التواصل بين الجانبين الأموي والبيزنطي، وطالب بتبادل المبعوثين بينهم، واستعداده لمساعدة الأمير الأموي لاسترجاع ملك أسلافه بالمشرق، طرد الفاتحين الأندلسيين الجدد واسترداد جزيرة كريت إلى الدولة البيزنطية، وعقد معاهدة صداقة وتحالف بين الدولتين[3].

وفي آخر الرسالة نعت الخليفتين المأمون والمعتصم بابني ماردة ومراجل[4]، ماردة أم المعتصم جارية تركية، ومراجل أم المأمون جارية فارسية الأصلن ونعتهم بأمهاتهم ماهو إلا طعن في النسب وتقليل من أصالتهم وفارسيتهم، كما تمت الإشارة أن ثيوفيليوس لما أوفد سفيره قراطيوس كان لهدفين أساسيين، لعدائهم المشترك ضد العباسيين، ومن أجل فتح تجارة مربحة بين الطرفين البيزنطي والأموي[5].

1 الرحيلي سليمان: المرجع السابق، ص140؛ الفقي عصام عبد الرؤف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرق ، دط، القاهرة، 1990م ، ص ص 102-103.

2 الخلف سالم عبد الله : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، الجامعة الإسلامية، دط، المدينة المنورة، 2003م، ج4، ص ص 247-248.

3 بروفنسال ليفي: تاريخ الإسلام في المغرب والأندلس، تر: محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين بن حلمي، مر: لطفي عبد الله ربيع، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 1990 م، ص ص 97-98 .

4 الخلف سالم عبد الله: المرجع السابق ، ص ص 248-249.

5 توير صليحة ويسري شعير: السفارات المتبادلة بين الأندلس والبيزنطيين خلال العصر الأموي (206-399هـ/822-1009م)، رسالة ماستر، قسم العلوم الإنسانية تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021/2020، ص 54.

قبل الأمير الأموي الهدية وأمر أن يكافئ الإمبراطور بمثلها[1]، فاختار الأمير عبد الرحمان يحيى الغزال ليرافق البعثة البيزنطية في عودتها، ويكون سفيره إلى الإمبراطور البيزنطي[2] وقد تم اختياره لتنفيذ هذه المهمة لما تحلى به من صفات أهلته لقيادة سفارات أخرى.

ب.مجريات السفارة:

سار يحي الغزال مع صديقه يحي بن حبيب رفقة الوفد البيزنطي من العاصمة الأموية قرطبة نحو الجنوب الشرقي، ثم ركبوا بحرا نحو القسطنطينية وقد عانوا من أهوال البحر وأمواجه حتى أشرفوا على الهلاك، وكانت رحلة شاقة[3]، وقد ورد في النص الخاص بالسفارة الجوابية وانطلاقها نحو القسطنطينية: "وسار الغزال وصاحب المنيقلة[4] عن طريق تدمير[5] ورسل ملك الروم معهما ليركبا البحر من الشاطئ الشرقي"[6].

يتبين أن الوفد الأندلسي ركب البحر عن طريق كورة مدينة مرسية Murcia[7]، حيث أعد لهم عبد الرحمن الأوسط مركبا مناسبا مزودا بما يحتاجونه وبالبحارة المهرة، فركبوا البحر نحو الشرق عبر المتوسط إلى جنوب صقلية، فجنوب اليونان، إلى بحر ايجة (Egee Mer)، ثم إلى

1 الرحيلي سليمان: المرجع السابق، ص140.

2 نفسه، ص140.

3 عنان عبد الله : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة ،1970م، ص161.

4 طيطح نصيرة: سفارات بلاط الدولة الأموية بالأندلس مابين (138-422هـ/756-1031م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018-2019م، ص 378.

5 تدمير: Gabados Tudmir أو Meodomirod Ergobados سميت باسم ملكها، وهي الحصن الرابع من قسمة قسطنطين وهي مدينة الأروقة والقواد، وبساحلها معادن الفضة. العذري: المصدر السابق، ص ص 17-27.

6 نفسه، ص378.

7 مرسية: تقع على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس من ساحل البحر الأبيض المتوسط، بناها عبد الرحمن الأوسط سنة (210هـ/832م)؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص82.

بحر مرمرة (Mer Marmara) عبر مضيق الدردنيل (Dardanelles)، حتى القسطنطينية لعله نفس طريق مجيء قراطيوس[1].

كما تم ذكر أن الغزال والوفد المرافق عادا في نفس السنة (225هـ/840م)، مسرورين مجبورين[2]، فكان رد عبد الرحمن مع مبعوثه يحي الغزال، مناقشة مطالب الإمبراطور البيزنطي فقرة بفقرة كما جاء في الرسالة الأموية (انظر الملحق رقم 03 ص ص 77-79) [3]، وقد تحفظ الأمير على العديد من القضايا[4]، كما أفاد بوصول كتاب الإمبراطور، وتفهم ماجاء فيه حول مشاعر الصداقة التي كانت قائمة بين أجداد الأمير الأموي والإمبراطور في الشام والرغبة في تجديدها، أظهر الأمير تقديره الشخصي للإمبراطور ثيوفيلوس لما أبداه من مشاعر تجاه المصير المؤلم الذي أنهى آخر خلفاء بني أمية في المشرق[5].

وذكر الإمبراطور فساد سيرة الخليفتين العباسيين المأمون والمعتصم، وشدة سياستهما في رعيتهما، وأنه سوف يناصر الأمويين على استرجاع ملكهم في المشرق، إلا أن الأمير أشار إلى أن عودة الأمويين إلى المشرق تبقى أمنية لهم ولأنصارهم في الشام والأندلس، وأنه يعلم أن الإمبراطور لن يتخلى عنهم لما بينهم من مودة وصداقة[6].

وأجابه الأمير أيضا حول مساعدة الأمويين ضد مسلمي اقريطش (كريت) الأندلسيين لغاراتهم على الأسطول البيزنطي والجزر المجاورة، بأنهم لاتربطهم بهم أي علاقة أو ولاء، وأنهم تابعين

1 ابن عذاري: المصدر السابق، ص 378.

2 نفسه، ص 378.

3 الرحيلي سليمان: المرجع السابق، ص144.

4 بروفنسال ليفي : تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)، تر: عبدالرؤوف البهيمي، المجلس الأعلى للثقافة، ط3، د ب، 1967م، ص20.

5 الرحيلي سليمان: المرجع السابق، ص144.

6 نفسه، ص144.

للخليفة العباسي، وفي حال عودة الأمويين للمشرق، فإنه سوف ينظر في وضعهم عند ذلك، وأن هناك أمورا بين الدولتين لم تكتب في الرسالة وتم شرحها مشافهة للسفير البيزنطي[1].

أما بخصوص مهمته الدبلوماسية وما امتاز به من حنكة سياسية، فإن المصادر لم تقدم تفاصيل دقيقة حولها، غير أنه من المرجح أنه أبان عن مهارة واضحة خلال مفاوضاته مع البيزنطيين في قضايا الحرب والسلم، وربما اقتصر دوره على تبليغ رسالة أميره إليهم وشرح مضامينها[2].

وقد أدى الغزال السفارة خير أداء، وعمل على إحكام الصلة والمودة بين الإمبراطور وبين أميره، وسحر البيزنطيين بكياسته وظرفه وبديع صفاته، وقدمه الإمبراطور إلى زوجته الإمبراطورة تيودورا وإلى ولده الأمير ميخائيل الذي تولى العرش فيما بعد وكان يومئذ فتى يافعا، فأنست به الإمبراطورة وسحرته برائع جمالها، وسحره الأمير الفتى وقال فيه قصيدته[3]:

وأغيد لين الأطراف رخص..... كحيل الطرف ذو عنق طويل

ترى ماء الشباب بوجنتيه ..... يلوح كرونق السيف الطويل

من أبناء الغطارف قيصري ..... العمومة حين ينسب والخؤول

إن أحداث هذه الرحلة اختلطت في الظاهر بأحداث رحلة الغزال الى بلاد الدنمارك (نمرقة

1 المقري: المصدر السابق، ج1، ص324. رويس محمد حسن العيد: العصر الاندلسي ، تاريخ وحضارة الأندلس النظم الإدارية في إسبانيا الإسلامية، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2012م، ص ص132-133.

2 الرحيلي سليمان : المصدر السابق، ص 141.

3 عنان محمد عبد الله: المرجع السابق، ص162.

النورمانية) في الشمال، غير أن عدة الوفد الأموي عن طريق ميناء شنت ياقب[1] في الشمال الغربي للأندلس تؤكد ذهابه إلى هناك، بعد انتهاء مهمته في القسطنطينية بعد غياب دام تسعة أشهر[2]. (انظر الملحق رقم 04 ص80)

جـ.نتائج سفارة الغزال إلى البلاد البيزنطية:

لقد تمكن الغزال بفضل صفاته من ذكاء وحنكة في التعامل مع البلاط البيزنطي في المواقف التي واجهته من إنجاح السفارة وتحقيق أهدافها[3]، كما أن الإمبراطور البيزنطي لم يظفر بشيئ ملموس من الأمير الأموي، عدا عبارات الاحترام والمجاملة وبذل الوعود المبهمة، ولم يتحقق أي تحالف بينهما ضد العباسيين.

نقل الغزال صورة عن الحضارة الأندلسية إلى بيزنطة، كما اطلع على مظاهر الحضارة البيزنطية، مما ساهم في نوع من التبادل الثقافي غير المباشر[4]، وهو مامكن الغزال من نيل إعجاب أميره عبد الرحمن في الأندلس بفضل ذكائه وحسن أدبه، وبالمقابل حظي بتلك المكانة في ديار البيزنطيين فقد كسب إعجاب سيدات القصر فأنشد في بعضهن أشعارا[5].

كما ساهمت هذه السفارة في تعزيز العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الأموية في الأندلس والبيزنطية، وإرساء نوع من التفاهم السياسي بعد فترة من التوتر، بل وعلى مزيد من احترام

---

[1] شنت ياقب: قلعة حصينة بالأندلس، فيها كنيسة عظيمة، وهي في ثغور ماردة، وهذه الكنيسة مبنية على جسد يعقوب الحواري، يذكرون أنه قتل في بيت المقدس وأدخله تلامذته في مركب، فجرى به المركب في البحر الشامي إلى أن خرج به إلى البحر المحيط حتى انتهى به إلى موضع الكنيسة بساحل فيه، فبنيت الكنيسة عليه وسميت باسمه فيقصد إليها من إفرنجه ومن روما والقسطنطينية ليوم معروف جعل عيدا لها، غزاها عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر سنة 387هـ وأوسع أهلها قتلا وأسرا؛ الحميري: المصدر السابق، 348؛ الحموي: المصدر السابق، ج3، 368.

2 – ابن دحية :المصدر السابق ، ص ص 139–143.

3 – سليمان الرحيلي: المرجع السابق، ص141.

4 عنان محمد عبد الله: المرجع السابق، ص 162.

5 عدلي رانيا: المرجع السابق، ص52.

العباسيين منافسين عبد الرحمن له[1]، كما أظهرت هذه السفارة قوة وهيبة بلاط عبد الرحمن الثاني، من خلال حسن اختيار السفير الذي مثل الدولة ثقافيا وسياسيا بكفاءة عالية[2].

بالرغم من أن هذه السفارة أحيت العلاقات الودية بين الطرفين إلا أنها باءت بالفشل، فمهما حاول الإمبراطور تعميق جذور الخلاف بين القوتيين الإسلاميين الأموية والعباسية، فهو لم يبلغ مرامه في ظل الواقع التاريخي، فالخطر الذي يواجه الأمويين في الأندلس لم يكن عباسيا، بل خطر الممالك النصرانية في شمال الأندلس، وفيما بعد خطر الأدارسة والفاطميين في المغرب[3].

2. السفارة إلى النورمان:

أ.خلفية السفارة:

لقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية هؤلاء الشعوب، فهناك من يطلق عليهم اسم الفايكينج أو المجوس أو النورمانديين أو الأردمانيين، ويعود هذا الاختلاف في تسميتهم إلى طقوسهم ومعتقداتهم أو لجغرافية بلادهم، ولفظ "نورمان" تحريف لكلمة Norsemen الإنجليزية، أو Normandos الإسبانية وهي تعني سكان الشمال أي سكان الدول الإسكندنافية في جهة الشمال الغربي من القارة الأوروبية[4]، ويعرف النورمان أنهم شعب عنيف في طبعه يسرف في القتل والدموية.[5]

اجتمعت العديد من الدوافع التي تسببت في قيام النورمان بغارات على بلاد الأندلس، من بينها دوافع طبيعية تتعلق بجغرافية بلاد النورمان التي تتميز بكثرة الجبال، إذ لا توجد بها سوى

1 البنداق محمد صالح: المرجع السابق، ص74.

2 عنان محمد: المرجع السابق، ص ص 161-162.

3 الرحيلي سليمان: المرجع السابق، ص 147.

4 العبادي أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1971م، ص348.

5 عمران محمود سعيد: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، دط، بيروت، 1986م، ص231.

سهول ضيقة يصعب استغلالها[1]، كما تحتوي على عدة أنهار قصيرة تنبع من البحيرات القديمة المنتمية إلى العصر الجليدي[2]، ويصف تاكيتوس بلاد النورمان بالأرض الكئيبة فهي بلاد ذات مسالك وعرة ومناخ شديد القسوة، كما أنها مليئة بالغابات والأحراش، وتكثر بها البرك والمستنقعات ما يجعل أراضيها غير صالحة للزراعة، مما لم يدع للنورمان مكانا للعيش فيه سوى رؤوس الخلجان على شريط ساحل ضيق.[3]

وبخصوص الدوافع السياسية والعسكرية فقد ساد الأندلس حالة من الاضطرابات ساهمت في شن النورمان غاراتهم على السواحل الأندلسية، تمثلت في انشغال عبد الرحمن الأوسط بإخماد نار الفتن والثورات الداخلية التي شهدتها قرطبة[4]، كما ظهرت ثورات في طليطلة وماردة، إضافة إلى حركة المستعربين في قرطبة[5]، زيادة على ذلك ساهم تكالب الممالك المسيحية وتدعيمها لتلك الثورات في تأزم الوضع[6]، ما دفع بالأمير الأموي إلى شن غزوات خارجية لردع التوسعات النصرانية عرفت بحملات الصوائف[7]، من بينها غزوه جزيرتي ميورقة ومنورقة سنة (234هـ/848م)[8]، وجليقية سنة (225هـ/839م)[9]، أما من الجانب العسكري فقد عرف عن

---

[1] عبد الباسط قير وأحمد عريبي: النشاط الدبلوماسي للإمارة الأموية خلال فترة الأمير عبد الرحمن الثاني (سفارة يحي بن الحكم الغزال إلى مملكة النورمان أنموذجا)، مذكرة ماستر، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، الجزائر، 2022/2021م، ص29.

[2] حسن إبراهيم محمد: دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، الإسكندرية، 1999م، ص184.

[3] Tacite: La Germanie, librairie Hachette, Paris, 1898, p12.

[4] عبد الباسط قير وأحمد عريبي: المرجع السابق، ص30.

[5] السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: المرجع السابق، ص123.

[6] بن حاج ميلود: الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (206هـ/822-854م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/2007م، ص37.

[7] السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: المرجع السابق، ص393.

[8] القرطبي أبو مروان بن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، القاهرة، 1390هـ، ص144.

[9] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص85.

الفايكنج قوة التحمل والقسوة واعتزازهم بتفوقهم على غيرهم من الأجناس، كما عرف عنهم تخطيطهم الحربي المتقن الذي دفعهم إلى الملاحة وبناء السفن.[1]

ومن الجانب الاقتصادي فقد كان نشاط النورمان الاقتصادي متنوعا من تربية للحيوانات وصيد وبناء للسفن، وقد كانوا عملاء تجاريين للفريزيين قبل قيام الفرنجة بغزو فريزيا، فأدى ذلك لشل نشاطهم التجاري ما دفعهم للإغارة على غرب أوروبا بهدف السلب والنهب.[2]

أما من الناحية الاجتماعية فقد تزايد أعداد الفايكنج في القرن التاسع الميلادي، حتى ضاقت عليهم بلادهم، ولم تعد تسعهم تلك السواحل[3]، فالهدوء الذي عرفته جزيرة اسكندنافيا بين القرنين السادس والثامن أدى إلى تزايد أعدادهم، وهو مايفسر ضخامة أعدادهم وقوة أسطولهم البحري، الأمر الذي دفعهم إلى تلك الحركة التوسعية.[4]

منذ بداية العصور الوسطى كانت سيادة البحر الشمالية في يد النورمانديين، وهم شعوب بحرية تمرست في ركوب البحر منذ غابر العصور، وفي أوائل القرن التاسع وصلت حملاتهم إلى شواطئ بلاد الفرنج، ووفدت جموع منهم لغزو مصب اللوار ومصب الجارون، وأنشأوا لهم عدة قواعد في تلك الأنحاء[5]، ومن هنا بدأ تطلعهم إلى إسبانيا، وكانت بداية تحرشاتهم بها سنة (228هـ/843م)، في هذه السنة خرج أسطول نورماني من نهر الجارون قاصدا شواطئ مملكة جليقية، فأرسل ملكها راميرو إليهم جيشا ردعهم وأحرق كثيرا من سفنهم، فانقلبوا عندئذ إلى مياه

[1] Morris Bishop: The Middle Ages, 1st ed, Houghton mifflin company, Boston, 2001, p31.

[2] عبد الباسط قير وأحمد عريبي: المرجع السابق، ص31.

[3] عاشور سعيد عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1976م، ص176.

[4] فاطمة بنت حاي بن يحي الحجي السفياني: غارات النورمان الدانيين على أراضي دولة الفرنجة وبلاد الأندلس في عصري الإمارة والخلافة (138-399هـ/756-1009م)، رسالة ماستر، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001-2002م، ص60.

[5] عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997م، ج2، ص ص261-262.

إسبانيا الجنوبية والغربية، يجوبونها طلبا للسبي والغنيمة، مقتحمين شواطئ الأندلس في غزوتهم الأولى.[1]

عرف النورمانديون بأنهم كانوا يتجنبون الأماكن المحصنة، فهاجموا السواحل الغربية لبلاد الأندلس غير المحصنة[2]، فكانوا يقبلون في سفن ذات أشرعة سوداء، ويقسمون رجالهم قسمين، قسم يعسكر على الشاطئ، والآخر يغير على المدينة وينهب ويدمر ما استطاع[3]، غزا المجوس ساحل الأندلس لأول مرة في عهد عبد الرحمن الأوسط، فنزلوا في منطقة اشبونة[4] في شهر ذي الحجة سنة (229هـ/أغسطس 844م)[5]، حيث ظهرت أربعة وخمسون سفينة مجوسية وعدد من المراكب الصغيرة عند مصب نهر تاجة[6]، فنزلوا بثغر أشبونة واحتلوا بسيطها، فقاتلهم أهلها وصدوهم.[7]

بعد ذلك قرر النورمان التوغل إلى داخل الأندلس فقام وهب الله بن حزم والي لشبونة بإبلاغ عبد الرحمن الثاني، فأرسل الأخير تحذيرات لكافة الولاة الذين تطل ولاياتهم على البحر باتخاذ التدابير اللازمة، وإرسال المساعدات إلى عامل أشبونة للتصدي لغارات النورمان[8]، وبعدها كانت

---

[1] عنان محمد عبد الله: المرجع السابق، ص262.

[2] العبادي أحمد مختار: المرجع السابق، ص139.

[3] السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: المرجع السابق، ص131.

[4] اشبونة: إقليم من أقاليم جزيرة الأندلس، مدينة حسنة تقع شمالي النهر المسمى باجة الذي هو نهر طليطلة؛ ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت852هـ): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، القاهرة، 2008م، ص64.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص93.

[6] نهر تاجة: نهر عظيم يشق طليطلة قصبة الأندلس في الزمان الأقدم، يخرج من بلاد الجلالقة، ويصب في البحر الرومي، وهو نهر موصوف من أنهار العالم، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة، بنتها ملوك سالفة، وهي من البنيان الموصوف؛ الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، 1980م، ص127.

[7] السامرائي إبراهيم خليل وآخرون: المرجع السابق، ص131.

[8] ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)، تر: علي عبد الرؤوف البمبي و علي إبراهيم المنوفي، المجلس الأعلى للثقافة، ط3، دب، 2000م، ص184.

قادس[1] هي المنطقة الثانية التي قاموا باحتلالها، ثم عادوا إلى مصب نهر الوادي الكبير محتلين بذلك جزيرة القبطيل[2]، وبعدها قصدوا قرية قَوْرَه[3]، فالتقوا مع المسلمين وهزموهم يوم الاثنين 12 محرم، ثم دخلوا طلياطة[4] يوم الثلاثاء، وهي من مدن إشبيلية، فهزموا فيها المسلمين مرة أخرى.[5]

وصل النورمان إلى إشبيلية ونزلوا بها يوم الأربعاء 14 محرم سنة (230هـ/844م)، واقتتلوا مع المسلمين قتالا شديدا فانهزم المسلمون[6]، ووصف ابن عذاري ذلك بقوله:" فخرج المجوس في نحو ثمانين مركبا، كأنما ملأت البحر طيرا جونا،...، فحلوا بأشبونة، ثم أقبلوا إلى قادس، إلى شذونة، ثم قدموا على إشبيلية، فاحتلوا بها احتلالا، ونازلوها نزالا، إلا أن دخلوها قسرا، واستأصلوا أهلها قتلا وأسرا. فبقوا بها سبعة أيام، يسقون أهلها كأس الحمام..."[7]، واحتلوا إشبيلية، فأخذوا ينهبون ويقتلون أهلها، ويرجع احتلال إشبيلية لعدة أسباب منها: أن أهل إشبيلية لم يحسبوا حسابا لمهاجمة النورمان لهم وذلك لبعد مدينتهم عن الساحل، وكذلك سرعة وصول النورمان للمدينة فلم يستغرقوا سوى ثلاثة أيام، إضافة إلى تنوع المعدات القتالية للنورمان وكثافة قواتهم، زيادة على ذلك خلو المدينة من الأسوار والتحصينات.[8] (انظر الملحق رقم 05 ص 81)

قام عبد الرحمن الثاني بتجهيز جيش بقيادة عبد الله بن منذر، وعيسى بن شهيد، وعبد الواحد الإسكندراني، وعبد الرحمن بن كليب بن ثعلبة، فهزموا المشركين وقتلوا منهم سبعين رجلا،

---

[1] قادس: جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية، وطولها من القبلة إلى الجوف اثنا عشر ميلا، وعرضها في أوسع المواضع ميل، وبها مزارع كثيرة الريع، وأكثر مواشيها المعز، وشعراؤها صنوبر ورتم؛ الحميري: المصدر السابق، ص 448.

[2] القِبْطِيل: بالأندلس، هو مفرغ وادي طرطوشة في البحر، ويعرف أيضا بالعسكر، لأنه موضع عسكر به المجوس واحتفروا حوله خندقا أثره باقٍ إلى الآن؛ الحميري: المصدر السابق، ص454.

[3] قَوْرَة: بالفتح ثم السكون، هي قرية من قرى إشبيلية بالأندلس، ينسب إليها الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن زرقون القوري ثم الإشبيلي؛ الحموي ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص412.

[4] طلياطة: تقع بالأندلس، بينها وبين إشبيلية عشرين ميلا، ومن طلياطة إلى لبلة مثلها؛ الحميري: المصدر السابق، ص395.

[5] العذري: المصدر السابق، ص98-99.

[6] العذري: المصدر السابق، ص99.

[7] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص87.

[8] الدليمي انتصار محمد صالح: التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300-366هـ/ 912-976م)، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، 2005م، ص102.

وأدخلوا من بقي في مراكبهم في موضع يقال له مشدوم شرقي إشبيلية[1]، بعدها استعان الأمير من أهل الثغر بموسى بن قسي[2] الذي قاتلهم قتالا شديدا وأخرجهم من إشبيلية[3]، وكانت الواقعة الكبيرة على المجوس بقرية طلياطة يوم الثلاثاء (25صفر 230هـ/ 11نوفمبر 844م)[4]، حينما بعث الأمير عبد الرحمن بن الحكم خمسة عشر مركبا لقتالهم[5]، فانهزم المجوس وانقطع خبرهم عن البلاد[6]، بعد أن عاثوا في الأندلس ما يقارب اثنين وأربعين يوما[7]، وتركوا في يد المسلمين عددا من الأسرى خُيروا بين الإسلام أو القتل، فاعتنقوا الإسلام واشتغلوا بتربية المواشي وصناعة الجبن والمنتجات الألبانية ، وهي الصناعة المشهورة في بلادهم الدانمرك حتى اليوم.[8]

ب. مجريات السفارة:

كانت السفارة إلى النورمان سفارة جوابية، فقد جاءت ردا على المجوس بعدما أرسل ملكهم سفارة إلى البلاط القرطبي بهدف الصداقة والسلام، فقد رأى أنه من الحكمة أن يُحِلَّ العلاقات الودية محل الخصومة، فوافق الأمير عبد الرحمن على هذا وأرسل بعثة كان على رأسها يحيى الغزال الذي كان قد امتلك الخبرة الدبلوماسية من سفارته إلى البلاط البيزنطي[9]، وقد وصفها ابن دحية في كتابه المطرب بقوله: "...ولما وفد على السلطان عبد الرحمن رسل ملك المجوس تطلب الصلح بعد خروجهم من إشبيلية، وإيقاعهم بجبهاتها ثم هزيمتهم بها، وقتل قائد الأسطول فيها، رأى أن يراجعهم بقبول ذلك، فأمر الغزال أن يمشي في رسالته مع رسل ملكهم، لما كان الغزال

---

[1] العذري: المصدر السابق، ص99.

[2] موسى بن قسي: كان بالثغر الأعلى وكان يقود الجيوش الإسلامية ضد النصارى، وله وقائع مشهورة في العدو والإسلام وغزاه عبد الرحمن غزوات متتابعة إلى أن صالحه؛ ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص46-49.

[3] ابن القوطية: المصدر السابق، ص ص 79-80.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص88.

[5] العذري: المصدر السابق، ص100.

[6] العذري: المصدر السابق، ص100.

[7] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص88.

[8] العبادي أحمد مختار: المرجع السابق، ص140.

[9] الحجي عبد الرحمن علي: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية، المجمع الثقافي، دط، أبو ظبي، 2004م، ص232.

عليه من حدة الخاطر، وبديهة الرأي، وحسن الجواب والنجدة والإقدام والدخول والخروج من كل باب، وصحبته يحيى بن حبيب، فنهض إلى مدينة شلب، وقد أنشأ لهما مركب حسن كامل الآلة، وروجع ملك المجوس على رسالته وكوفئ على هديته، ومشى رسول ملكهم في مركبهم الذي جاءوا فيه مع مركب الغزال..."[1].

في أواخر صيف سنة (231هـ/ 845م)، أعد الأمير عبد الرحمن مركبا كامل العدة، حسن المنظر، محملا بالهدايا الطيبة لملك النورمان، وأخذ الغزال من الأمير خطابا به تعريف شخصيته، وذكر لأغراض سفارته، كما اصطحب معه مساعدا يدعى يحيى بن حبيب[2]، فأبحر في سفينته مع رسل النورمان الذين ركبوا سفنهم قاصدين ملك النورمان، فقصد الوفد مدينة شلب[3]، متخذين طريقهم في البحر، ولما جازوا الطرف الأعظم، صادفهم هياج البحر وعصف الرياح حين وصولهم إلى الحد الأعلى من شمال غرب الجزيرة عند ملتقى البحر الأطلنطي بخليج بسكاي[4]، فقاسى الغزال كثيرا من دوار البحر، واستولى الهلع على صحبه، وقد وصف الغزال هذه العاصفة بقوله:

قال لي يحيى وصرنا بين موج كالجبال

وتولتنا ريـــــــاح من دبور وشمال

شقت القلعتين وأنبتت عرا تلك الحــبال

---

[1] الكلبي ابن دحية أبو الخطاب عمر حسن الأندلسي (ت633هـ): المصدر السابق، ص ص138-139.

[2] يحيى بن حبيب: هو عالم الفلك والطبيعة، اشتهر بأنه صاحب المنيقلة، ووجوده في السفارة مفيد جدا لأنه يخوله لدراسة ظروف الحياة الطبيعية في بلدان الشمال وإطلاع الأمير عليها؛ البنداق محمد صالح: يحي بن الحكم الغزال أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري وسفير الأندلس لدى إمبراطور القسطنطينية وملك النورمان (150-250هـ/ 770-864م)، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1979م، ص150.

[3] شِلْب: هي بلدة أندلسية قديمة تقع في جنوب غربي البرتغال على مقربة من المحيط الأطلنطي، وهي قاعدة كورة أكشونية وهي بقلبي مدينة باجة، ولها بسائط فسيحة وبطائح عريضة، والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة بديعة البناء، يعرف على أهلها اتقانهم للشعر والأدب، ولا يجاريهم في الكرامة أحد؛ الحموي ياقوت: المصدر السابق، ج3، ص357.

[4] ابن دحية: المصدر السابق، ص139؛ الأوسي حكمة علي: فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مطبعة سلمان الأعظمي، دط، بغداد، 1971م، ص96.

وتمطى ملك الموت إلينا عـــن حيـال

فرأينا الـــموت رأي العين حالا بعد حـال

لم يكن للقسوم فينـا يـا رفيقي رأس مـــال[1]

وقد علق المؤرخ ابن دحية على هذه الأبيات بقوله: "وهذا القصيد يجول عليه رونق الانطباع، وهو القريب غير المستطاع"[2]، ورغم اختلاف المصادر في مكان السفارة، إلا أنه يتضح من خلال وصف الغزال لها أن مكانها في الدانمارك[3]، حيث استقبلها الملك هوريك الذي وصل إلى السلطة في سنة (229هـ/844م)، بعد نزاع مع هورال Horal، ليباشر حكمه قبل هجوم الفايكنج الدنماركيين على الأندلس، وقد بقي هوريك في السلطة حتى وفاته سنة (240هـ/854م).[4]

بعد نجاة الوفد من خطر الغرق وصلوا إلى أول بلاد المجوس في جزيرة صغيرة أقاموا فيها وأصلحوا مراكبهم، ثم قصدوا مقر الملك بعد أن دعاهم، واحتفل أهل الجزيرة برؤيتهم، وقد رأوا العجيب من أشكالهم وأزيائهم[5]، وتتجلى فطنة الغزال ودبلوماسيته حينما استدعى الملك البعثة لمقابلته، فاشترط الغزال ألا يطلب ملك المجوس شيئا يتنافر مع تعاليم دينهم أو عاداتهم العربية، ومنها عدم السجود للملك، فأجاب هذا الأخير بقبول الطلب، غير أن الملك أراد الاحتيال على السفير الإسلامي ويحمله على السجود دون أن يشعر هذا الأخير بالخديعة، فأمر الملك بتضييق المدخل المفضي إليه حتى لا يدخل أحد إلا راكعا[6]، غير أن الغزال قد أدرك تلك الحيلة، فلما وصل إلى مدخل قاعة الاستقبال جلس على الأرض، وقدم رجليه وزحف على إليته زحفا، حتى إذا بلغ الباب استوى واقفا، وكان الملك قد أعد لذلك واحتفل في الزينة والسلاح، فلم يهتم الغزال

[1] ابن دحية: المصدر السابق، ص139.

[2] نفسه، ص140.

[3] الأوسي حكمة علي: المرجع السابق، ص97.

[4] الحجي عبد الرحمن علي: المرجع السابق، ص245.

[5] ابن دحية: المصدر السابق، ص141.

[6] نفسه، ص141؛ حميدة عبد الرحمن: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، ط1، دمشق، 1984م، ص170.

لذلك ولم يذعره، بل قام مائلا بين يديه قائلا: "السلام عليك أيها الملك وعلى من ضمه مشهدك والتحية الكريمة لك، ولازلت تتمتع بالعز والبقاء والكرامة، المفضية بك إلى شرف الدنيا والآخرة المتصلة بالدوام في جوار الحي القيوم".[1] (انظر الملحق رقم 06 ص 82)

بعد ذلك قام ترجمان الملك بترجمة ماقاله الغزال، فقال الملك: "هذا حكيم من حكماء القوم، وداهية منهم، وعجب من جلوسه إلى الأرض وتقديمه لرجليه في الدخول، فقال: أردنا أن نذله، فقابل وجوهنا بنعليه! ولولا أنه رسول لأنكرنا ذلك عليه، ثم دفع إليه كتاب السلطان عبد الرحمن وقرئ عليه الكتاب، وفسر له، فاستحسنه وأخذه في يده، فرفعه ثم وضعه في حجره، وأمر بالهدية ففتحت له، ووقف على جميع ما اشتملت عليه من الثياب والأواني، فأعجب بها، وبما تحويه"[2]، وقد كانت هدايا قيمة احتوت على صندوق كبير به ألفين من العملة الذهبية، وعدد من التحف واللطائف، وقطع من الفضة والذهب، سُرَّ بها الملك المجوسي هوريك سرورا كبيرا.[3]

بالإضافة إلى لقاء الملك بالغزال، فقد كان لهذا الأخير مجالس مذكورة جادل فيها علمائهم فبكَّتَهم[4]، وفي أثناء المفاوضات التي دارت بين الغزال والنورمانديين أظهر السفير المسلم ما أثار به إعجاب النورمان، ولما سمعت امرأة ملك المجوس الملقبة "بنود أو تود" بحنكة الغزال ودهائه، طلبت رؤيته فلبى الدعوة، وقد أعجب الغزال بجمالها[5]، ويعتبر لقاؤه بها تمهيدا لظهور علاقة ود واحترام بين السفير الأندلسي والملكة، وفي هذا السياق يقول الدكتور إبراهيم محمد آل مصطفى أن الغزال وضعنا بموقفين متناقضين الأول عدم اكتراثه بمظاهر الزينة التي ظهرت عند مثوله بين يدي الملك والتزامه بتعاليم الدين الإسلامي، والآخر إعجابه بجمال الملكة وتصريحه بهذا الإعجاب.[6]

---

[1] ابن دحية: المصدر السابق، ص141.

[2] نفسه، ص141.

[3] طيطح نصيرة: المرجع السابق، ص203.

[4] ابن دحية: المصدر السابق، ص142.

[5] نفسه، ص ص143-144.

[6] إبراهيم محمد آل مصطفى: المرجع السابق، ص125.

لقد دامت رحلة الغزال حوالي عشرين شهرا، ثم رجع إلى الأندلس عبر طريق مدينة شنت ياقب، وقد حصل من خلال هذه الرحلة على كثير من المعلومات حول الشعوب الشمالية وأحوالها[1]، وقد أرسل ملك النورمان كتابا مع الغزال إلى صاحب شنت ياقب راميرو الأول Ramiro I (المتوفى سنة 236هـ/850م)، لتسهيل المرور عبر أراضيهم[2]، فبقي فيها شهرين ثم دخل إلى منطقة قشتالة، ثم مضى إلى طليطلة، وصولا إلى قرطبة حيث مقر الأمير عبد الرحمن فسلمه كتاب النورمانديين.[3]

جـ. نتائج السفارة:

جـ-1. من الجانب السياسي:

لقد نجح الغزال مبدئيا في مسعاه الدبلوماسي من خلال التقرير السري الذي كشف فيه عن نقاط القوة والضعف في المجال الحربي النورماني برا وبحرا، لذا يمكن القول بأن الأثر السياسي لسفارة الغزال إلى النورمان كان مرحليا، لكن النورمان سرعان ما لبثوا وأعادوا الكرة بالهجوم على الأندلس بعد ذلك بحوالي ثلاثين عاما.[4]

استطاع الأمير عبد الرحمن تسوية قضية فداء قاضي إشبيلية بفضل تلك السفارة ومجهودات الغزال، كما تم على إثرها تبادل الأسرى بين الطرفين[5]، كما استطاع الأمير بفضل سفارة الغزال تجنيب بلاده طيلة سنوات حكمه من خطر هجمات النورمان، كما تمكن من تحصين

[1] كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968م، ص291.

[2] إبراهيم محمد آل مصطفى: المرجع السابق، ص ص129-130.

[3] البنداق: المرجع السابق، ص159.

[4] شريف مفلح: رحلات يحي الغزال الأندلسي، المضامين والأهمية التاريخية، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 66، دمشق، يناير 1997م، ص139.

[5] طيطح نصيرة: المرجع السابق، ص207.

البلاد، الأمر الذي نتج على إثره فشل هجوم النورمانديين على الأندلس في سنة (245هـ/859م) فشلا ذريعا.[1]

لقد كشفت هذه السفارة عن اتساع الامتداد الجغرافي للنشاط الدبلوماسي الأندلسي، حيث وصل الوفد القرطبي إلى غاية الجزر البريطانية وتحديدا إلى شمال ايرلندا وصولا إلى جزيرة جوتلاند حيث بلاد الدنمارك[2]، كما ترتب على التقرير الذي أعده الغزال نشأة البحرية الأندلسية في الشمال، وبذلك التصدي لسفن النورمان في البحر وإفساد غاراتهم، كذلك كان لابد من إنشاء دور لصناعة السفن[3]، وبناء الحصون على طول الساحل من أشبونة إلى غاية أرقش[4]، ويبدو أن الأمير عبد الرحمن استحدث منصبا كان الغرض منه مراقبة السواحل حتى لا تفاجأ الأندلس بهجوم آخر شبيه بما فعله النورمانديون سنة (229هـ/843م)، ويروى بأن عبد المجيد بن عبد الصمد[5] كان عينا على البحر للأمير عبد الرحمن بن الحكم.[6]

جـ-2. من الجانب الاجتماعي:

من أهم النتائج التي جاءت بها هذه السفارة هي المعلومات التي قدمها يحيى الغزال عن بلاد النورمان عن كل ما يخص حياتهم ودينهم وعاداتهم، ومن أبرز هذه المعلومات:

---

[1] سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة المنورة، 2003م، ج1، ص244.

[2] طيطح نصيرة: المرجع السابق، ص207.

[3] بن حاج ميلود: المرجع السابق، ص ص 96-97.

[4] طيطح نصيرة: المرجع السابق، ص209.

[5] عبد المجيد بن عبد الصمد: من أهل ريَّة، من إقليم بَلّش، كان شيخا فاضلا، وكان عينا على البحر لعبد الرحمن بن الحكم؛ ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، مج4، ج2، 1989م، ص498.

[6] نفسه، ص498.

_ ديانتهم: كانوا مجوسا يعبدون النار (فيها عدد لا يحصى من المجوس، وبالقرب من تلك الجزيرة جزر أخرى أهلها كلهم مجوس)، ثم تحولوا من المجوسية إلى النصرانية، وكان الملك هوريك قد ساعد على نشر المسيحية.[1]

_ ذكر الغزال بعض العادات التي كانت منتشرة بين شعوب الفايكنج الذين كانوا لم يتنصروا، بعضها تتعلق بالزواج من الأقارب، وكذا تساهلهم في الطلاق.[2]

لقد أعطت هذه السفارة نظرة شاملة لحياة المجوس في تلك المنطقة، كذلك استطاع البلاط القرطبي بفضل أداة الدبلوماسية كشف العديد من الأمور الغامضة المتعلقة بأوضاع تلك الجماعات الغريبة، مثل طبيعة بلادهم وجغرافيتها، وحياتهم الاجتماعية، ومعرفة أسرارهم في صناعة أسطولهم البحري الذي كان يهدد سلامة الأندلس والتصدي له.[3]

جـ-3. من الجانب الحضاري:

من الناحية الحضارية والثقافية لقد تركت تلك السفارة انطباعا جميلا عند النورمانديين، لما عكسه الغزال ورفقته من سلوك راق وثقافة بالغة تدلان على مابلغته الدولة الأموية في الأندلس من حضارة وتمدن في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، كما تمكن الغزال بكياسته من نسج خيوط الصداقة بين قرطبة ومملكة النورمان.[4]

جـ-4. من الجانب الاقتصادي:

فتحت سفارة الغزال الباب أمام التبادلات الاقتصادية بين قرطبة وبلاد النورمان، إضافة إلى توثيق العلاقات التجارية بين الأندلس وبلدان أوروبا الغربية[5]، وقد احتضنت الطرق البحرية حركة النقل التجاري خاصة في حالة السلم في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم لما عرفه عصره من

[1] الحجي عبد الرحمن علي: المرجع السابق، ص264.

[2] نفسه، ص265.

[3] طيطح نصيرة: المرجع السابق، ص207.

[4] شريف مفلح: المرجع السابق، ص138.

[5] حميدة عبد الرحمن: المرجع السابق، ص172.

ازدهار اقتصادي واسع، كما أشار المؤرخون إلى توقف كل أشكال التبادل التجاري عن طريق الموانئ بين الأندلس وبلاد النورمان نتيجة لتجدد الهجمات النورماندية على سواحل الأندلس في عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن[1]، وبالتالي يمكن القول بأن السفارات والتجارة كانتا من وسائل التواصل الحضاري بين المسلمين والفايكنج ولم تقتصر على ذلك خلال هذه الفترة القصيرة، بل امتد هذا الاتصال على أيدي العلماء والفقهاء الذين أقاموا هناك، ومن أسلم منهم من أهل البلاد، إضافة إلى التجار المسلمين الذين كانوا يترددون على تلك البلاد.[2]

3.الجدل التاريخي حول رحلات الغزال الديبلوماسية :

اختلف الباحثون حول وجهة سفارة الغزال، يذهب بعضهم إلى أن سفارته لم تكن موجهة نحو القسطنطينية، بل كانت نحو الدنمارك شمال أوروبا، وقد استندوا في ذلك إلى رواية ابن دحية (المتوفى سنة 633هـ) في كتابة المطرب، حيث لم يشر إلى أي مهمة دبلوماسية قام بها الغزال إلى البلاط البيزنطي[3]، بينما تؤكد مصادر تاريخية أخرى أنه قام بسفارتين: إلى القسطنطينية وبلاد النورمان، وقد حددت المصادر التي تناولت سفارة الغزال إلى القسطنطينية مثل ابن حيان وابن خلدون والمقري أنها حدثت سنة (225هـ) بعد أن أرسل البيزنطيون سفيرا إلى قرطبة، أما رحلته إلى بلاد الشمال، التي وصفها ابن دحية فكانت لاحقا، وتحديدا حوالي سنة (229هـ)، أي عقب انتهاء غارات النورمان على الأندلس في تلك الفترة[4].

وتشير المعلومات إلى وجود فارق زمني يقدر بأربع إلى خمس سنوات بين الرحلتين، مما يستبعد تنقل الغزال بين القسطنطينية وبلاد الشمال في مدة واحدة، خاصة وأن بعض المصادر تذكر أن رحلته استغرقت نحو تسعة أشهر كما أن الطريق لم يكن آمنا بل محفوفا بالمخاطر،

---

[1] البكر خالد بن عبد الكريم بن حمود: النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة (138-316هـ/ 755-928م)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض، 1993م، ص294.

[2] بن ناجي يوسف عبد الحميد: القرصنة وأثرها في التواصل الحضاري، الفايكنج (النورمان) أنموذجا (173-591هـ/ 789-1194م)، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، العدد29، القاهرة، 2021م، مج2، ص108.

3 ابن دحية : المصدر السابق، ص ص 138-149.

4 الرحيلي سليمان: المرجع السابق، ص152 ؛ حسين مؤنس : المرجع السابق، ص ص 42-52.

لذلك يرجح أنه عاد إلى قرطبة بعد إنهاء مهمته في القسطنطينية ثم أعيد إرساله لاحقا في سفارة ثانية إلى ملك الدنمارك مستفيدا من خبرته السابقة[1].

يرجع سبب الخلط بين الرحلتين إلى اختلاف التواريخ والظروف، وتداخل الروايات في بعض المصادر، مما أدى إلى صعوبة التمييز بينهما وقد اتجه الباحثون إلى ثلاثة اتجاهات، فريق يرى أن الغزال قام بسفارتين منفصلتين، وآخر يعتبرهما رحلة واحدة، في حين يتبنى فريق ثالث بأنهما رحلتان مستقلتان، وهذا الفريق هم الأكثر ومنهم فازليف وحسين مؤنس[2]، وفريق يرى أن الغزال توجه في سفارة وحيدة إلى الدولة البيزنطية وينكر الأخرى مثل المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال[3]، وهناك من عالج سفارة الغزال الى دانمرقة بوضوح دون الإشارة إلى سفارته إلى القسطنطينية، منهم إبراهيم العدوي وألن[4]Allen ، والرأي الأول أوفق تبعا لروايات المصادر التاريخية وسردها لحوادث سفارة الغزال.

ثانيًا خصائص وأثر نشاطه الدبلوماسي:

1.خصائص العمل الدبلوماسي عند يحي الغزال:

تكشف أخبار سفارات يحيى الغزال عن جملة من الخصائص الدبلوماسية التي يتميز بها، من ثقافة واسعة، حيث وصفه ابن دحية بشاعر عصره في قوله: "القاعد على كوان شاعر ذلك

1 فازليف : العرب والروم، تر: محمد عبد الأدي شعيرة، مر: فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي، دط، بيروت، د ت، ص ص164-165؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ص42-47.

2 ليفي برفنسال : المرجع السابق، ص ص 113-114.

3 العدوي أحمد إبراهيم: الأمويون والبيزنطيون، الدار القومية، ط2، القاهرة، 1960م، ص ص 269-270.

4 Allen (W.D): The Poet and the soothsayer-wife: An Attempt to Reconstruct Al-GHAZAL'S Embassy to the Vikings, London , 1960,p p14-17 .153 الرحيلي سليمان: المرجع السابق، ص.

الأوان، وقد أثبت له من قوله ما يشهد بإبداعه، وحسن تصرفه في المعاني، وطول يده في الأدب"[1]، كما عرف عنه أنه يتقن علم الحساب فلقب في عصره بحكيم الأندلس[2].

كما عرف عنه أنه كان يخلط الجد بالهزل كما ذكرنا سابقا، ما أكسبه مرونة تفاوضية بحسب الطرف، حيث استطاع التكيف مع طبيعة كل طرف، سواء في البلاط البيزنطي ذي الطابع الرسمي، أو في البلاط النورماني في ظروف يغلب عليها التوتر، كما جمع بين الكفاءة السياسية والقدرة التعبيرية، فبرزت بلاغته وفصاحته في عرض الرسائل ونقل مواقف الدولة الأموية بأسلوب يعكس مكانتها وهيبتها.

كما أظهر ذكاءً حادا وسرعة بديهة في تعامله مع المواقف المختلفة، الأمر الذي مكنه من مواجهة الملوك والتعامل معهم بمرونة وحنكة، وهو ما يوضحه لنا موقفه في التعامل مع خديعة ملك المجوس واحتياله على الغزال ليدخل إليه راكعا، إلا أنه بسرعة بديهته أدرك الحيلة وتعامل معها بكل ذكاء.[3]

إلى جانب ذلك اتسم الغزال بالجرأة في التمثيل الدبلوماسي، حيث لم يتردد في الحفاظ على هيبة دولته وكرامتها، وهو ما يتجلى في مواقفه داخل البلاطات الأجنبية، كما امتلك قدرة كبيرة على الإقناع والتأثير، مستفيدا من ثقافته الواسعة وأسلوبه الأدبي لكونه من فحول الشعراء في تحقيق أهداف السفارة.

ولعل أبرز خاصية ميزت العمل الدبلوماسي للغزال هو حرصه على السرية وحسن إدارته للمعلومات، ما يعكس وعيا بطبيعة العمل الدبلوماسي القائم على الحذر والدقة، ما يفسر بصورة أو بأخرى بقاء سرية ما دار بينه وبين ملوك البلاطات الأجنبية إلى يومنا هذا، وبالتالي يفسر الجدل القائم حول حقيقة هذه السفارات والسبب فيها أن الغزال قد نجح فعلا في المحافظة على

[1] ابن دحية: المصدر السابق، ص133.

[2] الحجي عبد الرحمن علي: المرجع السابق، ص225.

[3] شريف مفلح: المرجع السابق، ص139.

السرية التي هي أساس العمل الدبلوماسي، وبالتالي يمكننا القول بأن نجاحه لم يكن وليد الصدفة، بل هو نتيجة لامتلاكه مقومات السفير الناجح في عصر الإمارة الأموية.

2. أثر النشاط الدبلوماسي للغزال:

لقد تركت الرحلتان التاريخيتان اللتان قام بهما يحي الغزال أثرا بالغا في تعزيز مكانة الدولة الأموية في الأندلس على الصعيد الخارجي، فالأثر السياسي يتضح في كون سفاراته قد مثلت نموذجا ناجحا للتواصل السياسي مع القوى الأجنبية، ويمكن القول بأن الرحلة الأولى (الرحلة البيزنطية) برغم أنها لم تحقق غايات سياسية، إلا أنها على المستوى الثقافي والحضاري قد خلفت انطباعا جميلا في أذهان البيزنطيين، بما عكسه الغزال ورفيقه من ثقافة عالية وسلوك راق، يدلان على ما بلغته الدولة الأموية بالأندلس من تمدن وحضارة في عصر الأمير عبد الرحمن، كما أن الغزال قد نجح بكياسته من نسج خيوط الصداقة مع الدولة البيزنطية، أما أثر الرحلة الأدبي فنتبينه من خلال وصف الغزال لقاءه مع الإمبراطور والإمبراطورة، وحديثه معها، ثم حديثه مع ولي العهد الأمير ميخائيل وإعجابه به، والأشعار التي قيلت آنذاك وكيف حدث اللقاء وتقاليد هذا اللقاء.[1]

أما بخصوص الأثر السياسي لرحلة الغزال إلى الدانمارك فيمكن التأكيد على أنه كان أثرا مرحليا كما ذكرنا سابقا، بيد أن قيمة الرحلة من الناحية الأدبية كبيرة جدا، فتصوير الغزال لرحلته إلى النورمان جاء في طابع قصصي جميل، لا سيما موضوع الانحناء للإمبراطور وفطنة الغزال لذلك...إلخ.[2]

من جهة أخرى يمكن اعتبار النشاط الدبلوماسي ليحيى الغزال خطوة كبيرة في تطوير أساليب العمل الدبلوماسي في الأندلس، حيث تبرز أهمية اختيار السفير الكفء الذي يقدر على جمع الفصاحة بالحنكة السياسية، الأمر الذي ساهم في ترسيخ تقاليد دبلوماسية ستستمر في المرحل اللاحقة، بذلك يمكن القول بأن أثر نشاطه الدبلوماسي لم يكن آنيا فحسب، بل إنه امتد ليشكل نموذجا يحتذى به في مجال إدارة العلاقات الخارجية بالأندلس في عصر الإمارة.

---

[1] شريف مفلح: المرجع السابق، ص138.

[2] نفسه، ص139.

خلاصة الفصل:

ومن خلال ما سبق طرحه في هذا الفصل خلصنا إلى جملة من النتائج أهمها:

-أثبتت السفارتان أهمية الدبلوماسية في العلاقات الدولية، وأن الحوار والمراسلات وسيلة فعالة لتفادي الصراع العسكري خصوصا بين قوتين كبيرتين مثل الدولة الأمية بالأندلس والإمبراطورية البيزنطية.

-لقد نجح يحي بن الحكم الغزال من تمثيل الأندلس بدهاء وحنكة مما ساهم في تحقيق أهداف السفارة دبلوماسيا وثقافيا.

-ساهمت السفارة في خلق نوع من الهدنة غير المباشرة مع الإمبراطور ثيوفيلوس بما يخدم مصالح الطرفين، كما أنها كشفت عن تواصل حضاري بين عالمين مختلفين، حيث نقل كل طرف صورة عن تقدمه وثقافته.

-لقد شكلت الهجومات النورماندية على سواحل الأندلس خطرا حقيقيا، هدد استقرار وأمن الدولة الأموية بالأندلس.

-لقد أدت هجومات النورمان إلى اتخاذ الأمير عبد الرحمن مجموعة من التدابير لحماية البلاد، لقيامه بتحصين مدينة اشبيلية ببناء سور كبير، إضافة إلى اهتمامه بتطوير البحرية الأندلسية، وزيادة عدد السفن في الأسطول البحري لصد أي هجوم أجنبي.

-لقد بينت هاتان السفارتان أن نجاح المهام الدبلوماسية مرتبط بكفاءة السفير علميا وثقافيا، وليس فقط بمكانته السياسية.

الخاتـــــــــــمـة

من خلال دراستنا التي تناولت عنوان يحيى الغزال الجياني (156-250هـ) حياته ونشاطه الدبلوماسي، توصلنا إلى جملة من النتائج من بينها:

رغم حداثة مصطلح "الدبلوماسية" إلا أن ممارستها العملية كانت قائمة آنذاك، ويتجلى ذلك من خلال السفارات والمعاهدات واستقبال الوفود، مما يدل على أن غياب المصطلح لا يعني غياب الممارسة، كما تجدر الإشارة بأن العمل الدبلوماسي قد بدأ مبكرا في عصر الإمارة، ويتجلى ذلك في انتخاب الأمير عبد الرحمن الداخل مولاه بدرًا ليبث له الدعوة في الأندلس، وهو ما يعتبر بداية العمل الدبلوماسي في عصر الإمارة.

لقد شكل النشاط الدبلوماسي في عصر الإمارة أداة فعالة في تعزيز مكانة الدولة الأموية بالأندلس، وهنا تبرز شخصية يحي الغزال الجياني الذي لم يكن مجرد شاعر أو مبعوث سياسي، بل كان ظاهرة ثقافية كاملة جسدت ببراعة تحول الدولة الأموية من حالة النشأة والتأسيس إلى مرحلة النضج السياسي والتفاعل الحضاري مع الكيانات الخارجية.

إن انتخاب الغزال لقيادة أبرز البعثات الدبلوماسية في زمانه لم تكن مجرد مهام سياسية فقط بل إنها كانت مشاريع ثقافية هادفة، فقد كان الغزال بثقافته الواسعة التي شملت علم الفلك والحساب و بلاغته الشعرية والأدبية الوجه الذي أرادت قرطبة إظهاره للعالم .

لقد أثبتت سفارتي الغزال إلى بيزنطة والنورمان أهمية الدبلوماسية في العلاقات الدولية، وأن المراسلات تشكل أداة فعالة لتفادي الصراعات العسكرية، وهنا يمكن القول بأن يحي الغزال قد نجح فعلا في تحقيق المسعى الدبلوماسي الذي بعث من أجله، كما أنه مثل الأندلس بدهاء وحنكة في بلاط بيزنطة والنورمان.

بينت الدراسة أهم الصفات التي تميز بها شعب النورمان، فقد عرف بأنهم شعب عنيف في طبعه، كما أنهم برعوا في مجابهة العواصف بسبب معرفتهم الكبيرة بالبحر، وقد لعبت جغرافية بلادهم دورا كبيرا في الهجمات التي قاموا بعا على سواحل بلاد الأندلس، ما تسبب في هجرتهم بحثا عن مناطق جديدة، ومن جهة أخرى ساهمت حالة عدم الاستقرار السياسي الذي شهدته

الأندلس بسبب الفتن والثورات الداخلية في زيادة أطماع المجوس، فاستغلوا حالة عدم الاستقرار وبالتالي غزوهم لبلاد الأندلس.

أدت تلك الهجومات إلى قيام الأمير عبد الرحمن بتحصين بلاده من خلال بنائه سورا حول مدينة اشبيلية، إضافة إلى اهتمامه بتطوير البحرية الأندلسية، وزيادة عدد السفن وبالتالي التصدي للهجمات التي قام بها النورمان لاحقا.

لقد كشفت سفارتي الغزال عن الانفتاح السياسي الذي انتهجه الأمير عبد الرحمن الثاني، كما أنهما فتحتا الباب أمام التبادلات التجارية بين قرطبة وبلاد النورمان وبيزنطة، إلى جانب ذلك قدمت هاتان السفاراتان تقريرا شاملا تضمن معلومات قيمة عن هذه الشعوب وخاصة النورمان.

الـملاحـــــــــــق

الملحق رقم 01: بلاد الأندلس ومدنها.

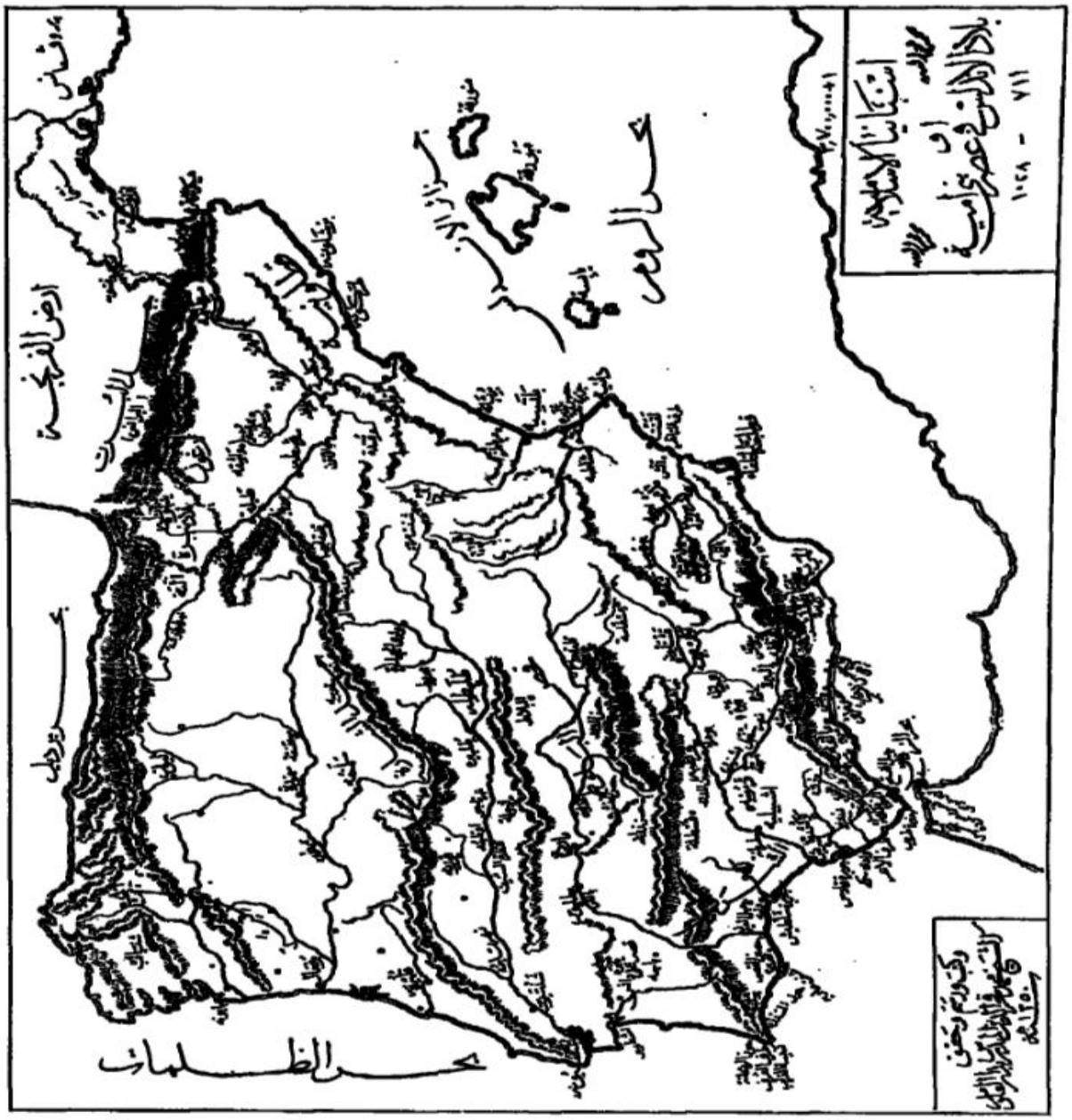

المصدر: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989م، ص4.

الملحق رقم 02: ملخص أحداث عهد الأمير عبد الرحمن الثاني.

الثورات التي قامت ضد الأمير عبد الرحمن الثاني	السنة الهجرية	السنة الميلادية
تولى عبد الرحمن الثاني إمارة الأندلس	206هـ	822م
الفتنة بين القيسية واليمنية	207هـ	823م
ثورة عبد الله البلنسي	207هـ	823م
ثورة هاشم الضراب	214هـ	829م
غزوات النورمانيين	229هـ	844م
ثورة ماردة	213هـ	828م
فتنة المستعربين في قرطبة	235هـ	850م
وفاة الأمير عبد الرحمن الثاني	238هـ	853م

المصدر: عبد الباسط قير وأحمد عريبي: النشاط الدبلوماسي للإمارة الأموية خلال فترة الأمير عبد الرحمن الثاني (سفارة يحي بن الحكم الغزال إلى مملكة النورمان أنموذجا)، مذكرة ماستر، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 2021/ 2022م، ص67.

الملحق رقم 03: رسالة الأمير عبد الرحمن الأوسط الجوابية حملها الغزال في السفارة الجوابية إلى الإمبراطور البيزنطي تيوفيل سنة (225هـ/840م):

-بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد،

فقد بلغني كتابك، تذكر الذي كان عليه من مضامَتكم لأولينا من المودة المصادقة، وأنه قد دعاك ذلك إلى مكاتبنا، وإرسال قرطيوس رسولك إلينا، لتجديد تلك المودة، وترتيب تلك المصادقة، وتسأل أن ينعقد فيما بيننا وبينك من ذلك ما نتمسك به ونتواصل له ، ونبعث رسلا من عندنا إليك ليعلموك بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضضت عليه ودعوت اليه لنثبت بقدومهم عليك مودتنا، وتتم به صداقتنا.

وفهمنا ما ذكرته من أمر الخليفة مروان -رضي الله عنه وصلى عليه- ، و وواشائج قرابتنا منه، وأسيت لما استلب من سلطانه، واستبيح من حرمه، واستحل من دمه، وما كان من الفاجر أبي جعفر- تربه الله -وجراءته على الله واغتراره به وانتهاكه لمحارمه ، والله قد أحصى عليه ذلك فآسفة منه، فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه.ثم الذي ذكرته من فعل الخبيثين ابن مراجل وابن مارده أخيه بعده، من إلحادهما في نحلتهما وإساءتهما لسيرتها وغائلتهما في رعيتهما، وشدة وطأتهما عليهم ، واستحلالهما دمائهم وأموالهم، وما ذكرت من حضور وقت زوال دولتهم وانقطاع مدة سلطانهم،وتأذن برد دولتنا وسلطان آبائنا،الذين نبأت عنهم الكتب، ونطقت بهم الرسل، وأوجب لهم الإجماع، وحازهم إليهم البرهان، والذي حضضت عليه من الخروج إليهم ، وطلب الثأر منهم ، ووعدته من نصرتك لنا، بما ينصر الصديق صديقه، ومن يعلم هواه فيه ومودته له.

وما عطفت إليه من أمر أبي حفص، ومن معه من جالبة بلدنا، وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلدك، وخضوعهم لابن ماردة، ودخولهم في طاعته ، وما سألت من أهل الإنكار لذلك والأنفة منه ،وحكيت من امراء إفريقية في نزوعهم عن ابن ماردة

وخلافهم عليه، واستثقالهم لدولته،وكل ما حيكت من ذلك وقصصته في كتابك فقد قرأناه وفهمناه.

وأما ما رغبت من مودتنا، وأحببته من مصادقتنا، وأردت تجديده وتوصيله ،والتمسك به وتوثيقه، مما كان عليه أوّلوك لأولينا. فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا وأن نتمسك من ذلك بما كان عليه سلفنا، وما لم يزل من مكان قبلنا من الملوك يتمسكون به ويتحاضون عليه ويحفظه بعض لبعض، ويشدون أيديهم به.

وأما ما ذكرت من أمر الخليفة مروان بن محمد رحمه الله، فإن الله تعالى أحب أن يكرمه بما انتهك من حرمته، وأنيشقى بذلك من ركبه منه، ويخزيه ويعذبه عليه.

وأما ما كان عليه الفاجر أبو جعفر في تعذيبه العباد وظلمه، وجرأته على الله، وانتهاكه لمحارمه، فإن الله قد أخذ بذنبه واستدركه ببغيه، وصيره من عذابه ونكاله إلى ما لا انقطاع له ولا تخلص منه، جزاء بما اجترح. وكذلك حكم الله في أهل معصيته وأولى الاجتراء والافتراء عليه.

وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة، وحضضت عليه من الخروج إلى ما قبله، وذكرته من تقارب انقطاع دولته ودولة أهله، وزوال سلطانهم، وما حضر من وقت رجوع دولتنا، وأزف من خبر ارتجاع سلطاننا، فإناّ نرجو في ذلك عادة الله عندنا، ونستنجز موعده إيانا، ونمتري حسن بلائه لدينا، بما جمع لنا من طاعة من قبلنا، من اهل شامنا وأندلسنا، وأجنادنا وكورنا وثغورنا، وما لم نزل نسمع ونعترف أن النقمة تنزل لهم، والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب بنا وعلى أيدينا ، فيقطع الله دابرهم، ويستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى.

وأما ما ذكرت من أمر أبي حفص الأندلسي، ومن صار معه من أهل بلدنا ،في خضوعهم لابن ماردة، ودخولهم في طاعته ، وما سألت من النظر في أمورهم والإنكار لفعلهم، فإنه لم ينزع إليه منهم إلا سفلتهم، وسوادهم وفسقتهم وأبّاقهم، وليسوا في بلدنا ولا

برتبتنا فنغير عليهم ونكفيك مؤنتهم، وإنما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن ماردة لمكانهم من بلده، ودنو ناحيتهم من ناحيتة ، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم، ولا تضعف عن نكايتهم، ولا تتوقف عن إخراجهم عما تطرفوه من بلدك، وإذ ترى مكانهم به من موضعك. وأن الله بحوله وقوته وفضله ومنته رد إلينا سلطاننا بالمشرق وما كان تحت أيدي آبائنا منه، نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك، واستقامة لطاعتنا وطاعتك، وعرفنا الذي يكون من معونتك على ما دعوت إليه وحضضت عليه بما يعرفه الصديق لصديقه ، وذو المودة لأهل مودته، ولم يضع لك عندنا/ ما رعيته من حقنا، وقمت فيه من حفظنا.

وقد أدخلنا رسولك قرطيوس علينا ، وكشفناه على الذي أوصيت به إلينا، وعن كل ما يجب للصديق أن يعرفه من حال صديقه. ووجهنا إليك بكتابنا هذا رسولين من صالحي من قبلنا. فاكتب إلينا معهما بالذي أنت عليه من الأمر الذي كتب به إلينا، والذي نجب علمه من سار خبرك، ومتعة عافيتك، للنظر فيما يتصرفان به من عندك على حسب ما يأتياننا به من عندك إنشاء الله [1]» .

المصدر: طيطح نصيرة: سفارات بلاط الدولة الأموية بالأندلس ما بين (138-422هـ/756-1031م)، رسالة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2018-2019م، ص466-468.

الملحق رقم 04: خريطة السفارات المتبادلة بين قرطبة وبيزنطة في عصر الإمارة.

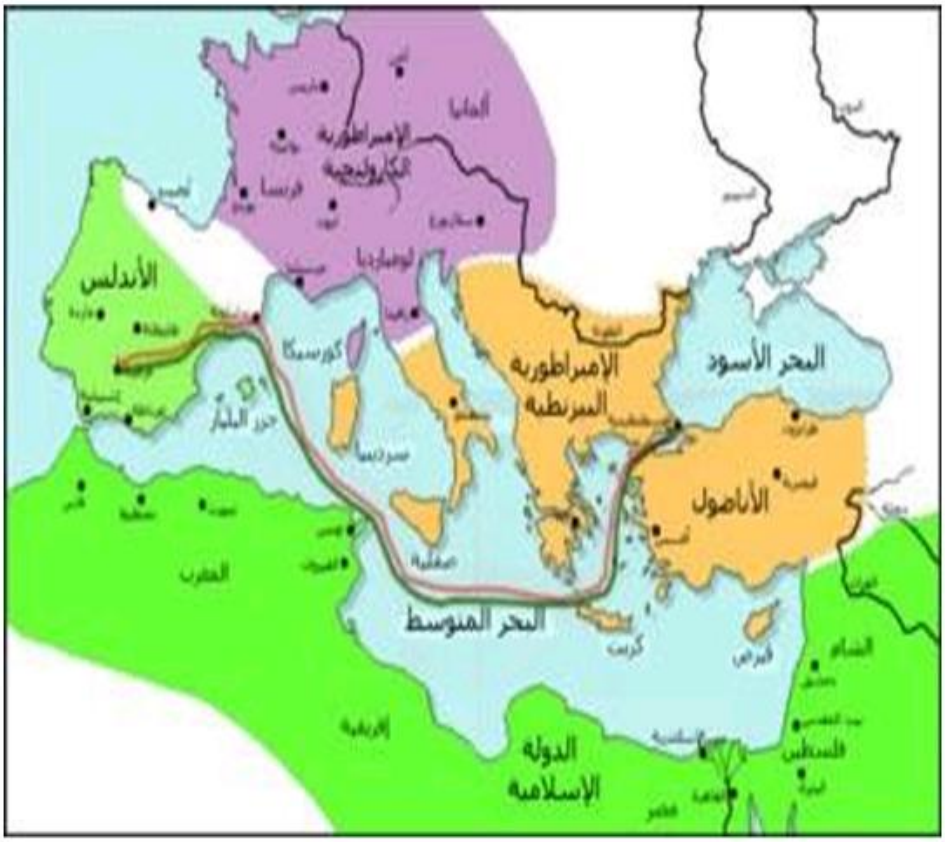

https//www.marefa.org.image.5/59

الشكل رقم(8) : خريطة تبين طريق اتصال السفارات بين قرطبة بالأندلس والقسطنطينية ببيزنطة عصر الامارة الاموية بالأندلس سنة(225هـ/840م) .

طريق سفاره" كرطيوس " سنة(225هـ/840م) من القسطنطينية إلى الحاضره قرطبة. المصدر ،ابن حيان ،المقتبس،س2،ص ص430 -431.

طريق عوده السفاره الجوابية يحي *الغزال"* من العاصمة قسطنطينية إلى الحاضره قرطبة سنة (225هـ/840م) .عبد الرحمن علي حجي :العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة حتى نهاية القرن الرابع، ص 65.

المصدر: طيطح نصيرة: المرجع السابق، ص384.

الملحق رقم05: غزوات المجوس على أوروبا والأندلس.

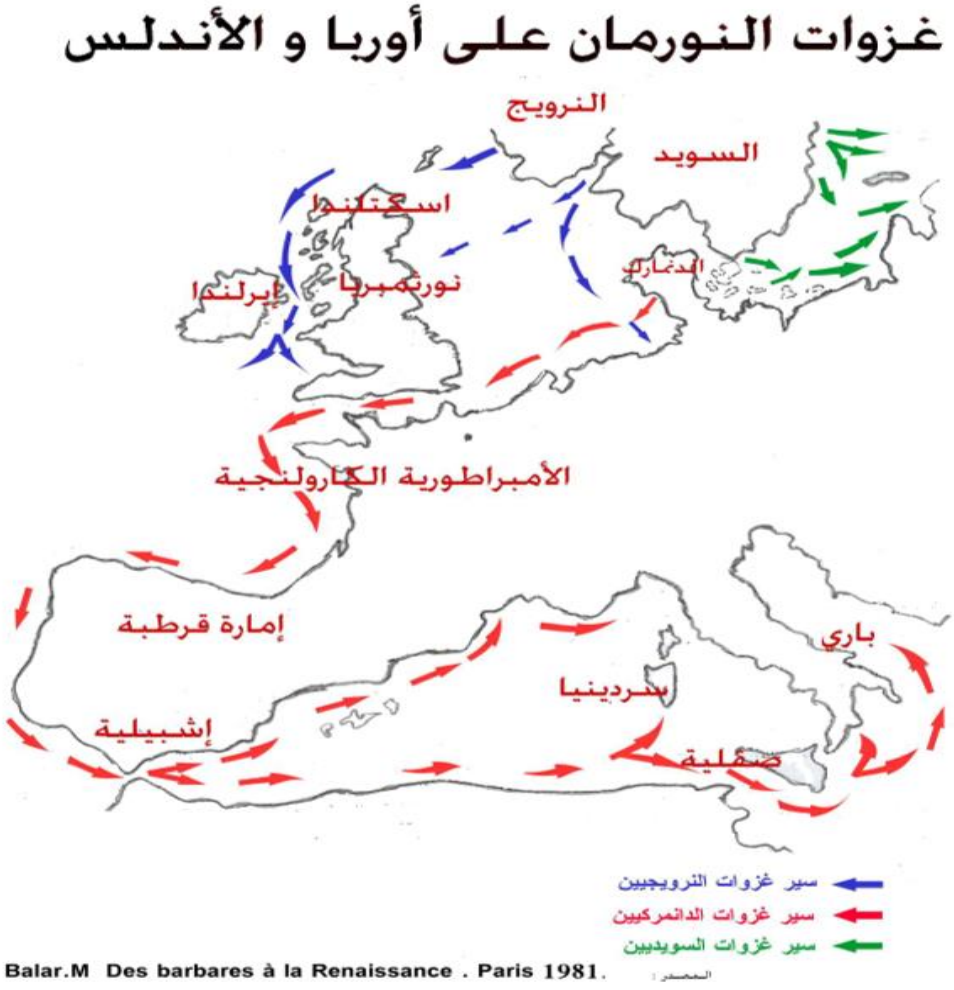

المصدر: بن حاج ميلود: الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (206هـ/822-854م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008م، ص118.

الملحق رقم 06: استقبال ملك المجوس للسفير الأندلسي يحيى بن الحكم الغزال.

استقبال ملك النورمان سفير الأندلس يحيى بن الحكم الغزال من خلال إحدى المراجع الدانمركية

المصدر: بن حاج ميلود: المرجع السابق، ص125.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

أولاً المصادر:

1. ابن الأبار محمد بن عبد الله(ت658هـ): الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985م.
2. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630ه): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1997م.
3. ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي أبو عبد الله (ت776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م.
4. ابن الفراء القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت458ه): رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت، 1972م.
5. ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989م.
6. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989م.
7. ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت852هـ): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، القاهرة، 2008م.
8. ابن حيان القرطبي أبي مروان (ت469هـ): المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1965م.

9. ابن خلدون عبد الرحمن (732-808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1981م.
10. ابن دحية الكلبي أبو الخطاب عمر حسن الأندلسي (ت633هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت، 1955م.
11. ابن سعيد المغربي الأندلسي أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ): المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1955م.
12. ابن عذاري أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو 695هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س.كولان و ليفي برفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م.
13. ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت571هـ): تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط1، بيروت، 2000م.
14. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ): لسان العرب، تح: اليازجي وآخرون، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ.
15. البكري أبو عبيد الأندلسي (ت387هـ): المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، دط، د ب، 1992م.
16. الحموي شهاب الدين ياقوت(ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م.
17. الحميدي (ت 488هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولات الأندلس، الدار المصرية للتأليف، دط، د ب، 1966م.

18. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـــــ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، 1980م.

19. الدينوري: الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دط، الإسكندرية، د ت.

20. الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، ط5 ، بيروت،2002م.

21. شمس الدين الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985م.

22. الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/ 1203م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، 1989م.

23. الطبري : تاريخ الرسل والملوك، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، 1975.

24. العذري أحمد بن عمر بن أنس: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، دط، مدريد، دت.

25. العمري أحمد بن يحيى بن فضل الله (749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، 1423هـ.

26. العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1423هـ.

27. القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544 هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، دار مكتبة الفكر، دط، بيروت، طرابلس، 1967 م.

28. القرطبي أبو مروان بن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، القاهرة، 1390هـ.

29. القلقشندي أحمد بن علي (ت821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م.

30. كاتب مراكشي (ت ق6هـ): الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، دط، بغداد، 1986م، ج1.

31. الكلبي ابن دحية (ت 633هـ): المطرب في أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الإبياري وآخرون، مر: طه حسين، دار العلم للجمع والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1955م.

32. المقري شهاب الدين: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، دط، بيروت، 1900م.

33. مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة، بيروت، 1989م.

34. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 1423هـ.

ثانيًا المراجع العربية:

1. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، دط، دب، دت.
2. أحمد هيكل: الأدب الاندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985م.
3. أرسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، ط1، مصر، 1936م.
4. أرسلان شكيب: تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 1352هـ.
5. أسيد رستم: الروم في سياستهم وحضاراتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب، دار المكشوف، د ب، 2018م.
6. آل مصطفى إبراهيم محمد: سفارات الأندلس إلى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بورسعيد، 2013م.
7. الأوسي حكمة علي: فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مطبعة سلمان الأعظمي، دط، بغداد، 1971م.
8. البكر خالد بن عبد الكريم بن حمود: النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة (138-316هـ/ 755-928م)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض، 1993م.
9. البنداق محمد صالح: يحي بن الحكم الغزال أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري وسفير الأندلس لدى إمبراطور القسطنطينية وملك النورمان (150-250هـ/ 770-864م)، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1979م.
10. البنداق محمد صالح: يحيى بن الحكم الغزال أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث هجري وسفير أمير الأندلس لدى إمبراطورية القسطنطينية وملك النورمان (150هـ/770م - 250هـ/864م)، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1974م.

11. توفيق عمر كمال: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبين، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الاسكندرية، دت.
12. توفيق عمر كمال: تاريخ الامبراطورية البيزنطية، دار المعرفة، دط، د ب،1967 م.
13. حافظ أحمد غانم: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، دط، الاسكندرية ،2007م.
14. الحجي عبد الرحمن علي: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية، المجمع الثقافي، دط، أبو ظبي، 2004م.
15. الحجي عبد الرحمن علي: أندلسيات، دار الإرشاد، ط1، بيروت، 1969م.
16. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، ط14، بيروت، القاهرة، 1996م.
17. حسن إبراهيم محمد: دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، دط، الإسكندرية، 1999م.
18. حميدة عبد الرحمن: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، ط1، دمشق، 1984م.
19. الخلف سالم عبد الله : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، الجامعة الإسلامية، دط، المدينة المنورة، 2003م.
20. خليل رجب حمدان الكبيسي: السلام الدولي في الإسلام، دار أمجد للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2018م.
21. الداية محمد رضوان: ديوان يحيى بن الحكم الغزال، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، دت.
22. رانيا عدلي نور الدين: قرطبة عروس الأندلس، دار عصير الكتاب، ط1، د ب، 2020م.

23. ربيع حسين محمد : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية ، دط، القاهرة ،1983م.

24. رويس محمد حسن العيد: العصر الاندلسي ، تاريخ وحضارة الأندلس النظم الإدارية في إسبانيا الإسلامية، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2012م.

25. سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة المنورة، 2003م.

26. السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2000م.

27. الشيخ محمد مرسى: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية، دط، الاسكندرية، 1994م.

28. صلابي علي محمد محمد: عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج، دار البيارق، ط1، عمان، 1998م.

29. الصوفي خالد: تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر، منشورات جامعة قاريونس، ط2، بنغازي، 1980م.

30. الصوفي خالد: تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة، منشورات جامعة قاريونس، ط2، د ب، 1980.

31. ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط1، مصر، 1999م.

32. طه خضر عبيد : تاريخ الدولة البيزنطية 324-1453م ،دار الفكر ، دط ،عمان، الأردن ،2010م.

33. عاشور سعيد عبد الفتاح : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية، دط، بيروت ،1976 م.

34. عاشور سعيد عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1976م.

35. العبادي أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1971م.

36. العبادي أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 2000م.

37. عباس إحسان: تاريخ الأندلس عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1969.

38. عبد القادر أحمد يوسف : الإمبراطورية البيزنطية ، منشورات المكتبة العصرية، دط، بيروت، 1966م.

39. العدوي إبراهيم: الدولة الإسلامية إمبراطورية الروم، دار رياض الصالحين، ط1، مصر، 1994.

40. علي عودة العقابي: العلاقات الدولية دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، د د ن، دط، بغداد، 2010م.

41. عمر كمال توفيق: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 1986م.

42. عمران محمود سعيد: معالم التاريخ الامبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي الحربي)، دار المعرفة الجامعية، دط، د ب، 2000م.

43. عمران محمود سعيد: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، دط، بيروت، 1986م.

44. عنان عبد الله : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة ،1970م.

45. عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997م.

46. عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، دط، القاهرة، دت.

47. غانم حافظ أحمد: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، دط، الإسكندرية، 2007م.

48. الغرناطي بن هذيل التجيبي: أبحاث ودراسات في الشعر الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

49. الفقي عصام عبد الرؤف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرق ، دط، القاهرة، 1990م.

50. فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس والمغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1999م.

51. محمد الكدي العمراني: فقه الأسرة المسلمة في المهاجر، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 2001م.

52. محمود اســـماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء، 1985.

53. مخلد عبيد المبيضين: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2012م.

54. مؤنس حسين: تاريخ الفكر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، دط، القاهرة، دت.

55. الناصري أحمد علي: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ، دار النهضة العربية، ط2 ، القاهرة ،1991م.

56. النويهض عجاج: الشعر والشعراء في الأندلس في عصر الإمارة، دار العلم للملايين، بيروت، 1985.

ثالثًا المراجع الأجنبية:

أ.باللغة الأجنبية:

1. Cabrera Emilio: Aproximación a la imagen de la Córdoba Islamic, 1988.
2. Eduardo Manzano Moreno: The Court of the Caliphate of Al-Andalus, Four years in Umayyad Córdoba, tran: Jeremy Roe, 1st ed, Edinburgh university press, Edinburgh, 2023.
3. Morris Bishop: The Middle Ages, 1st ed, Houghton mifflin company, Boston, 2001.
4. Pirenne Henri: Mohammed and Charlemagne, tran: Bernard Miall, Barnes and Noble books, New York, 1992.
5. Rosamond Mckitterick: CHARLEMAGNE, The Formation of a European Identity, 1st ed, Cambridge university press, Cambridge, 2008, p1.
6. Salicrú i Lluch, Roser: La diplomacia y las embajadas como expresión de los contactos interculturales entre cristianos y musulmanes en el Mediterráneo occidental durante la Baja Edad Media, Estudios de Historia de España, 2007
7. Tacite: La Germanie, librairie Hachette, Paris, 1898.

ب.المترجمة إلى العربية:

1. إدوارد جيبون: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، تر:محمد علي أبودرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، د ب،1997م.
2. آنخل جنثا بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تر:حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، دت.

3. فازليف: العرب والروم، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، مر: فؤاد حسين علي ، دار الفكر العربي، دط، بيروت ، د ت.
4. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968م.
5. ليفي بروفنسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)، تر: عبدالرؤوف البهيمي، المجلس الأعلى للثقافة، ط3، د ب، 1967م.
6. ليفي بروفنسال: تاريخ الإسلام في المغرب والأندلس، تر: محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين بن حلمي، مر: لطفي عبد الله ربيع، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 1990 م.
7. مارتين تيودور هوتسما وآخرون: موجز دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، د ب، 1998م.
8. نورمان فاكتور: العصور الوسطى الباكرة القرن الثالث /القرن الرابع، تر: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، دط، الاسكندرية، د ت.

رابعًا الرسائل الجامعية والأطروحات:

1. بن حاج ميلود: الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (206هـ/822-854م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/2007م.
2. توير صليحة ويسري شعير: السفارات المتبادلة بين الأندلس والبيزنطيين خلال العصر الأموي (206-399هـ/822-1009م)، رسالة ماستر، قسم العلوم الإنسانية تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021/2020.
3. الدليمي انتصار محمد صالح: التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300-366هـ/ 912-976م)، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، 2005م.

4. سائدة عبد الفتاح أنيس سويلم: علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا (138-300هـ/755-912م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2001م.
5. طيطح نصيرة: سفارات بلاط الدولة الأموية بالأندلس ما بين (138-422هـ/ 756-1031م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2018-2019م.
6. عميض محمد علي الصادق: يحيى بن الحكم الغزال الأندلسي حياته وشعره، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الإسلامية بمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1985-1986.
7. فاطمة بنت حاي بن يحي الحجي السفياني: غارات النورمان الدانيين على أراضي دولة الفرنجة وبلاد الأندلس في عصري الإمارة والخلافة (138-399هـ/756-1009م)، رسالة ماستر، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001-2002م.
8. قير عبد الباسط وأحمد عريبي: النشاط الدبلوماسي للإمارة الأموية خلال فترة الأمير عبد الرحمن الثاني (سفارة يحي بن الحكم الغزال إلى مملكة النورمان أنموذجا)، مذكرة ماستر، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، الجزائر، 2021/2022م.
9. معالي محمد ياسين: الأوضاع العلمية في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، وعلاقتها مع بلاد المغرب والمشرق (138-316هـ/756-928م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2017.

خامسًا المقالات:

1. بن ناجي يوسف عبد الحميد: القرصنة وأثرها في التواصل الحضاري، الفايكنج (النورمان) أنموذجا (173-591هـ/ 789-1194م)، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، العدد29، القاهرة، 2021م.

2. الرفرافي بلقاسم: يحيى بن الحكم الغزال الدبلوماسي المحنك والشاعر المثقف، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، م3، ع2، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019.
3. طارق فتحي بن سلطان : معركة عمورية في العلاقة بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية (223هـ/838م)، مجلة جامعة الإمام، كلية التربية، جامعة الموصل، ع3، 2006م.
4. عوض رجب إبراهيم أحمد: عُرف الأندلس يحيى بن حكم الغزال وملامح من حياته وشعره، المجلة العلمية للغة والثقافة، كلية اللغة العربية، جامعة السلطان عبد الحليم.
5. قصي عدنان الحسيني: أبو زكريا يحيى بن الحكم البكري، قسم اللغة العربية، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، العراق بغداد، 2015-2016.
6. محمد إسماعيل محمد: الصورة الشعرية عند يحيى الغزال الأندلسي، مجلة التراث العربي، ع 75، أبريل 1999.
7. مفلح شـريف: رحلات يحي الغزال الأندلسـي، المضـامين والأهمية التاريخية، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 66، دمشق، يناير 1997م.
8. موفق سالم الجوادي: العلاقات الدبلوماسية العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، مجلة البحوث والدراسات، كلية الآداب، جامعة الموصل، الموصل، 2005م، العدد2.
9. ناصح إحسان الله: أهمية السفارة في الإسلام، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، كلية الشريعة، جامعة ننجرهار، أفغانستان، 5 سبتمبر 2021م، الإصدار 29.

فـــــــــــــــهرس

المحـــــــــــــــتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	
الشكر	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ_ط
الفصل الأول: النشاط الدبلوماسي في عصر الإمارة.	20_1
أولًا: الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر الإمارة.	13_2
1.تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس.	5_2
2.العلاقات الخارجية للأمويين بالأندلس.	13_6
ثانيًا: الدبلوماسية في الفكر الإسلامي وعصر الإمارة.	19_14
1.مفهوم الدبلوماسية وملامحها في العصور الوسطى.	17_14
2.مظاهر الدبلوماسية في عصر الإمارة بالأندلس.	19_17
خلاصة الفصل.	20
الفصل الثاني: ترجمة يحيى بن الحكم الغزال.	41_21
أولًا: لمحة تاريخية حول يحيى بن الحكم الغزال.	31_22
1.نبذة عن حياة الغزال.	25_22
2.صفاته وملامح شخصيته.	26_25
3.ملامح شعره وموضوعاته.	31_26
ثانيًا: السياق التاريخي لعصر يحيى الغزال.	40_32
1.الجانب السياسي والاجتماعي من عصر الغزال.	35_32
2.الجانب الثقافي والفكري من عصره	40_35

خلاصة الفصل.	41
الفصل الثالث: النشاط الدبلوماسي ليحيى الغزال.	70_42
أولًا: سفارات يحيى بن الحكم الغزال.	67_43
1.السفارة إلى الإمبراطورية البيزنطية.	53_43
2.السفارة إلى النورمان.	65_54
3.الجدل التاريخي حول رحلات الغزال الدبلوماسية.	67_65
ثانيًا: خصائص وأثر نشاطه الدبلوماسي.	69_67
1.خصائص العمل الدبلوماسي عند يحيى الغزال.	68_67
2.أثر النشاط الدبلوماسي للغزال.	69_68
خلاصة الفصل.	70
الخاتمة.	73_71
الملاحق.	82_74
قائمة المصادر والمراجع.	96_83
فهرس المحتويات.	99-97

الملخص:

يعالج موضوع هذه الدراسة الموسومة "**يحي الغزال الجياني (156 – 250 هـ) حياته ونشاطه الديبلوماسي**" شخصية يحي بن الحكم الغزال الجياني، أحد أعلام الأندلس البارزين في عصر الإمارة الأموية، والذي جمع بين الأدب والديبلوماسية، فكان شاعرا بارزا وسفيرا محنكا مثل الدولة الأموية في عدد من السفارات المهمة، وتهدف الدراسة إلى إبراز جوانب حياته والتعريف بمكانته الأدبية والعلمية، مع التركيز على نشاطه الديبلوماسي ودوره في توطيد العلاقات الخارجية للأندلس، فبينت الدراسة الأخبار المتعلقة بسفارته الى كل من الإمبراطورية البيزنطية و النورمان، وبيان الظروف السياسية التي أحاطت بها، إضافة الى بيان الخصائص التي تميز بها الغزال في عمله الديبلوماسي.

وتوصلت الدراسة إلى أن يحيى الغزال كان يتمتع بحنكة وذكاء سياسي مكَّنه من أداء مهامه بكفاءة، كما أظهرت أن نشاطه الديبلوماسي ساهم في تقوية مكانة الدولة الأموية بالأندلس، كما بينت الدراسة أن شخصية الغزال مثلت نموذجًا للسفير الأندلسي الذي جمع بين الثقافة والفصاحة والقدرة على التفاوض، وهو ما جعل أثره يتجاوز الجانب السياسي إلى الحضاري والثقافي.

الكلمات المفتاحية: يحي الغزال – الأندلس – السفارة – الديبلوماسية – الإمبراطورية البيزنطية– النورمان.

Abstract :

The subject of this study, titled **"Yahya al-Ghazal al-Jayyani (156–250 AH): His Life and Diplomatic Activity"** deals with the personality of Yahya ibn al-Hakam al-Ghazal al-Jayyani, one of the prominent figures of Al-Andalus during the era of the Umayyad Emirate. Al-Ghazal combined literature and diplomacy, serving as both an eminent poet and a seasoned ambassador who represented the Umayyad state in several significant missions.

The study aims to highlight the various aspects of his life and his literary and scholarly standing, with a particular focus on his diplomatic activities and his role in strengthening the foreign relations of Al-Andalus. The research details the accounts of his embassies to both the **Byzantine Empire** and the **Normans (Vikings)**, outlining the surrounding political circumstances and the unique characteristics that distinguished Al-Ghazal in his diplomatic work.

The study concluded that:

- Yahya al-Ghazal possessed the political insight and intelligence that enabled him to perform his duties efficiently.
- His diplomatic endeavors contributed significantly to strengthening the position of the Umayyad state in Al-Andalus.
- His personality represented the ideal model of an Andalusian ambassador—combining culture, eloquence, and negotiation skills—which extended his influence beyond the political sphere into the civilizational and cultural realms.

Key words: Yahya al-Ghazal - Al-Andalus – embassy – diplomacy - Byzantine Empire - the Normans (Vikings).